كتاب

اظهار المكنون

من

الرسالة الجدية لابن زيدون

تأليف

مصطفى عنانى

مفتش منطقة القاهرة بوزارة المعارف

تباع بمكتبة الشيخ سيد موسى شريف
بخان الخليلى بمصر

الطبعة الثالثة المنقحة

١٣٤٥ هـ — ١٩٢٧ م

المطبعة الرحمانية بمصر
لصاحبها عبد الرحمن موسى شريف

كتاب

اظهار المكنون

من

الرسالة الجدية لابن زيدون

تأليف

مصطفى عنانى

مفتش منطقة القاهرة بوزارة المعارف

تباع بمكتبة الشيخ سيد موسى شريف

بخان الخليلي بمصر

الطبعة الثالثة المنقحة

١٣٤٥ هـ — ١٩٢٧ م

المطبعة الرحمانية بمصر
لصاحبها عبد الرحمن موسى شريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرح صدور الأدباء ، وخصهم من الفضيلة بما شاء ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل من أوتى الرسالة ، وانجلت به غياهب الشرك والضلالة ، القائل إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة ، وعلى آله وأصحابه ، المتخلقين بأخلاقه ، المستمسكين بآدابه ، (وبعد) فهذا شرح موجز للرسالة الجِدِّية لابن زيدون ، أردنا الاقتصار فيه على تفسير مفرداتها ، وتبيين مقاصد الكاتب من عباراتها ، وذكر مضارب أمثالها ، ونسبة ما جاء فيها من الأبيات لذويها ، وسرد ما استشهد به من الوقائع فيها ، وما حله من الأبيات فى غضونها

ونذكر قبل ذلك مقدمة موجزة فى تاريخ الأندلس السياسى ، وحالة اللغة العربية فيها ، ونقفى على ذلك بنبذة قصيرة في ترجمة ابن زيدون

مصطفى عنانى

نبذة فى تاريخ الاندلس السياسى

(٩٢ — ٨٩٧) = ٨٠٥

فى سنة ٩٢ للهجرة افتتح موسى بن نصير عامل الوليد بن عبد الملك على أفريقية ومولاه طارق بن زياد جزيرة الأندلس ، فصارت بذلك عمالة أموية ، يولى عاملها من قبل الخليفة تارة ومن الوالى بالقيروان أخرى ، وبقيت تحت سلطانهم إلى سنة ١٣٨ أى (٤٦) عاما تولى الأمارة فيها (٢٠) عاملا ، وانقضى جل هذه المدة فى فتح وجهاد ، وقتال وجلاد ، وباقيها فى خلاف شديد ، ونزاع مبيد ؛ وفتن داخلية أشدها ما كان بين من فيها من اليمانية والمضرية ، وهم السواد الأعظم من سكانها .

وفى سنة ١٣٨ للهجرة أتى عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك ومولاه بدراً هذه البلاد (فاراً من عسف العباسيين ؛ وبغيهم على أشراف الأمويين ، وأعوان دولتهم ، والتنكيل بمن يظفرون به من أبناء الخلفاء ، والتضييق عليهم ، ونصب الحبائل لهم فى كل صقع وواد) .

فأسس فى جزيرة الأندلس دولة أموية عربية ؛ لتقوم مقام دولتهم بالمشرق التى بنى العباسيون على أنقاضها ملكهم الفخم ، وسلطانهم الضخم ، وساعده على ذلك عزيمة صادقة ، وشيعة أموية ، وفتن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرح صدور الأدباء ، وخصهم من الفضيلة بما شاء ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل من أوتى الرسالة ، وانجلت به غياهب الشرك والضلالة ، القائل إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة ، وعلى آله وأصحابه ، المتخلقين بأخلاقه ، المستمسكين بآدابه ، (وبعد) فهذا شرح موجز للرسالة الجدية لابن زيدون ، أردنا الاقتصار فيه على تفسير مفرداتها ، وتبيين مقاصد الكاتب من عباراتها ، وذكر مضارب أمثالها ، ونسبة ما جاء فيها من الأبيات لذويها ، وسرد ما استشهد به من الوقائع فيها ، وما حله من الأبيات فى غضونها

ونذكر قبل ذلك مقدمة موجزة فى تاريخ الأندلس السياسى ، وحالة اللغة العربية فيها ، ونقفى على ذلك بنبذة قصيرة في ترجمة ابن زيدون

مصطفى عنانى

نبذة فى تاريخ الاندلس السياسى

(٩٢ — ٨٩٧) = ٨٠٥

فى سنة ٩٢ للهجرة افتتح موسى بن نصير عامل الوليد بن عبد الملك على أفريقية ومولاه طارق بن زياد جزيرة الأندلس ، فصارت بذلك عمالة أموية ، يولى عاملها من قبل الخليفة تارة ومن الوالى بالقيروان أخرى ، وبقيت تحت سلطانهم إلى سنة ١٣٨ أى (٤٦) عاما تولى الأمارة فيها (٣٠) عاملا ، وانقضى جل هذه المدة فى فتح وجهاد ، وقتال وجلاد ، وباقيها فى خلاف شديد ، ونزاع مبيد ؛ وفتن داخلية أشدها ما كان بين من فيها من اليمانية والمضرية ، وهم السواد الأعظم من سكانها .

وفى سنة ١٣٨ للهجرة أتى عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك ومولاه بدراً هذه البلاد (فاراً من عسف العباسيين ؛ وبغيهم على أشراف الأمويين ، وأعوان دولتهم ، والتنكيل بمن يظفرون به من أبناء الخلفاء ، والتضييق عليهم ، ونصب الحبائل لهم فى كل صقع وواد) .

فأسس فى جزيرة الأندلس دولة أموية عربية ؛ لتقوم مقام دولتهم بالمشرق التى بنى العباسيون على أنقاضها ملكهم الفخم ، وسلطانهم الضخم ، وساعده على ذلك عزيمة صادقة ، وشيعة أموية ، وفتن

مستحكمة بين القحطانية والعدنانية ، من جرّاء توليه الأمارة ، وتملك مقاليد الزعامة . واستمرت تلك البلاد خاضعة لهم ، إلى سنة ٤٢٢ أى (٢٨٤) سنة تولى فيها من الأمراء والخلفاء (١٥) رجلا قطعت فيها الدولة من الحضارة والغضارة والرقى الحسى والمعنوى شوطا طويلا وصارت فيه إلى أبعد غاية وأقصى مدى

ثم ضعف سلطانهم ، (سنة الله فى خلقه) فاستقلت أطرافها ، وتغلب فى كل جهة منها متغلب من العرب والموالى والبربر ، وتقسموا ألقاب الخلافة فيما بينهم فمن مقتدر إلى معتضد ، ومن مستعين إلى معتمد ، حتى كثرت الألقاب ، وتعددت الخلافات ، فذهبت بهجتها ، وقلت روعتها ، وقال فيها شاعرهم : —

مما يزهدنى فى أرض أندلس   تلقيب معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة فى غير موضعها   كالهر يحكى انتفاخا صورة الأسد

وهؤلاء هم المسمون فى تاريخ البلاد (ملوك الطوائف) ، وقد كانوا (على كثرتهم) يفاخر كل منهم جاره ، ويسعى فى الفوق عليه بترقية بلاده ، واتساع رقعتها ، وبسط نفوذه على مجاوريه بالقتال الدائم ، والنزاع المستمر مما سهل للعدو طريق الوصول اليهم ، والتغلب عليهم . ودامت دولتهم إلى سنة ٤٨٤ أى (٦٢) سنة .

ومن أشهر ملوكهم : بنو عباد باشبيليه ، وبنو الأفطس ببطليوس ،

وابن ذى النون بطليطلة ، وبنو هود بسرقسطه ، ولبيب العامرى بطرطوشه ، والمنصور المغافرى ببلنسيه

ومن ذلك الحين كانت الجزيرة إقليما تابعاً للبرابرة سلاطين المغرب ، وأول من عمل منهم على إخضاعها لحكمه وإدخالها تحت سيطرته الملثمون (بناة مراكش وسلاطينها) فانهم جاءوا اليها بدعوة من أحد ملوك الطوائف (المعتمد بن عباد) للاغاثة من الأسبان الذين أخذوا يستردون البلاد والحصون،ويتحكمون فى الأمراء كما يشاءون، ثم بدا لهم بعد الانتصار واستتباب الأمن أن يستبدوا بالملك وحدهم فكان لهم ما أرادوا ، وحدث بينهم وبين الأسبان بعد ذلك وقائع عدة استردوا فيها كثيراً من المدن والبلاد والمعاقل والقلاع وتقوضت دولتهم من بلاد الاندلس بعد أن داموا فيها (٦٢) سنة

ولما قامت دولة الموحدين سنة ٥٢٤ شرعت تناوئ الملثمين ثم تغلبت عليهم واستولت على مراكش وبلاد الأندلس واسترجعت كثيراً من أمصارها وقلاعها ، وكانت وقائعها مع أعداء البلاد مقرونة بالظفر مصحوبة بالنصر إلى أن ضعف أمرهم ، وسكن ريحهم ، وتغلب عليهم عدوهم من بنى مرين ، فذهبت دولتهم ، وشالت نعامتهم ، وخفت صوتهم ، وانتهى أمرهم ، سنة ٦٢٩ أى (٨٤) سنة

ثم ظهر في الاندلس سنة ٦٢٩ آخر دولة منها وهي دولة بني الاحمر (وكان مقرها غرناطة) فاستبدوا بالملك وثاروا على ابن هود المتغلب

بشرق الأندلس وكان مقره (سرقسطه) ، واستمرت رحى الحرب بينهم دائرة ، ولظى نارها يشتعل ، وعدوهم يلقى بأسهم بينهم ، وينتهز الفرص لخضد شوكتهم ، وإضعاف قوتهم ، وسلب بلادهم من أيديهم ، يستعمل فى ذلك كل حيلة ودهاء ، وكياسة وذكاء ، حتى آل الأمر فى سنة ٨٩٧ إلى ذهاب سلطان المسلمين من هذه البلاد ، وطموس آثارهم ، ودرس معالمهم ، وإزهاق روح لغتهم ، ومحق حضاراتهم وتعاليمهم

وبعد أن كانت الأندلس قرارة الأدب والدين ، ومنبع العلم واليقين ، ومتنزه جميع المسلمين ، ومهد الحضارة ، والمثل الأعلى فى العمارة ، ومحط الرحال ، وملتقى الآمال مدة ثمانية قرون أصبحت (والأمر لله) وليس بها إلا ما يفتت الكبد ، ويفت فى العضد ، ويبعث الأسى ، ويديم الشجى ، ويسيل العبرات ، ويهيج الحسرات ، والحكم لله العلى الكبير

حالة اللغة العربية فى بلاد الاندلس

٩٢ — ٨٩٧

انتشرت اللغة العربية فى بلاد الأندلس ، وانبثت فى جميع أرجائها ونواحيها بسرعة قلما تتهيأ لغيرها أو تتفق لسواها ، كان ذلك لأن الدين يحملها على جناحيه فتهبط معه أينما هبط ، وترسم خطاه أنى سار

وساعد على ذلك عرب خلص رحلوا إليها من جميع القبائل اليمانية والمضرية ، كما رحل إليها قوم من أهل مصر والشام والعراق ، وهؤلاء يحملون رايتها ويعملون على بسط نفوذها ، لما في ذلك من اظهار سؤددهم ، ونشر دينهم وتعاليمهم ، وحمل الناس على محاكاتهم ، ولا عجب فهم سادة البلاد والقابضون على أزمتها ، والمتصرفون في أعمالها (والناس على دين ملوكهم)

ومما حمل السكان على انتهاج طريقها والاهتمام بتعلمها ما كان من سهولتها ، وضبط قواعدها ، وكثرة معلميها ، وما رأوه من التسامح والاغضاء من أهلها ، فقد كانوا (على أنفتهم) يدمجون فيهم بالمصاهرة كل من تمسك بدينهم وتعرف لغتهم ، لا يبالون أصله ، ولا يهتمون بحسبه ، ولقد كان لأمراء الأندلس وخلفائهم وسلاطينهم في ترقية شئون اللغة واعلاء كلمتها أثر جليل وعمل صالح ظهر في بذلهم النفيس لتربية ملكة اللغة فيهم ، والتمكن من أساليبها ، وامتلاك نواصي آدابها وتحرير رقاب عباراتها ، ونشر المساجد والمدارس والحض على التعليم والتعلم ، وحث الأدباء على منافسة أهل المشرق ، وإذكاء جذوة الغيرة في نفوسهم ، وإثارة الحمية في قلوبهم ، باغداق النعم عليهم ، وتقريبهم منهم ، وتوليتهم مهام أمورهم ، وأرقى مناصبهم ، حتى بعثهم ذلك على مباراة المشارقة والجرى معهم في مضمار الاجادة ، وأنت خبير بأن المشارقة هم أصحاب الملك الكبير ، والسلطان العظيم ، وورثة العرب

الفصحاء فى شعرهم ونثرهم ، والفرس والرومان واليونان فى حضارتهم وعلومهم . وبلادهم كعبة القاصد ، ونجعة الرائد ، ومحط رحال العلماء ، ومهبط الكتاب والشعراء ، بل قبلة الاسلام ، ومجتمع جميع الانام. فاطلع علماء الأندلس على ثمرات عقولهم ونتائج كدهم ، تارة بالأخذ عن كتبهم ، وأخرى بالذهاب الى بلادهم فى أثناء رحلتهم للحج ، أو لقصد طلب العلم ، أو للضرب في الارض ابتغاء الرزق ، ثم عادوا إلى بلادهم عود الشمس بعد الأفول ، والغيث بعد المحول ، فنشروا فيها علومهم وآدابهم ، وعنوا بغرسها فى نفوس شبانهم وتحبيبها إليهم فلقنوهم منذ نعومة أظفارهم النثر الفاتن ، والشعر الساحر ، فشبوا وقد تذوقوا حلو الكلام وتسهل لهم حزنه ، ولان لهم صعبه ، وانقاد لهم أبيه ، هذا إلى ما بذله أولئكم الخلائف والامراء من مساعدة العلم وأهله ، وتحبيب العلماء والمغنين والأدباء فى استيطان بلاد الأندلس ، وبعث التجار فى سائر الأقطار ، لاعداد نفيس الكتب وغريب المؤلفات . ولقد بلغ من ولوعهم بترقية بلادهم فى العلوم والفنون أن بذلوا حر الأموال لتظهر المؤلفات فى بلادهم قبل ظهورها فى بلاد مؤلفيها ، ومن ذلك كتاب الأغانى للاصفهانى ، وشرح مختصر ابن عبد الحكم للأبهرى ، وقد عقد المقرى فى نفح الطيب أبواباً للوافدين إلى بلاد الاندلس والنازحين عنها فارجع اليه إن شئت

وما حمل الأمويين على هذه العناية إلا طمعهم فى استرداد ملكهم

الضائع ، ومجدهم القديم ، وإشادة دولة فتية قوية غنية ، يقوضون بها عرش خلافة العباسيين الذين غلبوهم على أمرهم ، وشتتوهم من بلادهم ، وقد علموا أن حياة الدول لا تكون إلا بالعلم فرفعوا عماده، واعلوا مناره ، ويسروا سبله ، وسهلوا أسبابه

ولم تكن حال اللغة فى بلاد الاندلس سائرة على سنن واحد ، بل كانت تتغير أحوالها ، وتتبدل صفاتها ، تبعاً لما تتقلب فيه الأمة من سراء وضراء وسعادة وشقاء ، وبداوة وحضارة ، وقوة وضعف، وتبعية واستقلال — ففد كانت فى الصدر الأول من الفتح (وهو زمن يقرب من نصف قرن) تشابه كثيرا حالتها عند بنى أمية بالمشرق عبارة سهلة بريئة من التصنع والتعمل ، يغلب عليها الترسل ، ويمحى فيها تصنع البديع بأنواعه ، تحوك فى الصدر ، وتعمل فى النفس ، تكاد أغراضها تنحصر فى أحوال المعيشة وحماية الدين ، والحث على إعلاء كلمته ونشر تعاليمه ، والحض على بذل المهج فى حماية البلاد ، والمحافظة عليها من العدو الواقف لها بالمرصاد ، تغلب البدوية على خيالها وان ظهر فى بعض الاحايين مجاوا فى معارض الحضارة

وفى زمن بنى أمية وملوك الطوائف (وهو قريب من ثلاثة قرون ونصف) عمت اللغة السكان ، على اختلاف الأجناس والأديان حتى ترجم بها القسوس التوراة وغيرها من الكتب الدينية وليس بعد ذلك دليل على الشيوع والانتشار ، وسارت فى هذه المدة شوطا

طويلا وقطعت مسافة بعيدة وخطت خطوات واسعة ، وخلعوا عليها نضرة بلادهم ، ورقة هوائهم ، وسلاسة أخلاقهم ، وأدمجوا فيها دقيق نكاتهم ، وظريف مجونهم وجميل ابتكارهم ، وجليل اختراعهم ، حتى صارت عنوانهم الدال عليهم ، ومرآتهم التي ترى فيها محاسنهم

واتسعت أغراضها حتى كادت (لا تحصى) فمن كتب اخوانية ، إلى عهود سلطانية ، ومن أعمال ادارية ، إلى أمور صناعية وزراعية وتجارية ، ومن تدوين علوم ، إلى مناظرة خصوم . أما الوصف فحدث عنه ولا حرج فقد وصفوا السماء وزهرها ، والرياض وأزهارها ، والنواعير وأصواتها ، والسحب وأنواعها ، والأنهار وسفنها ، والطيور وأشكالها ، والدواب وضروبها : والوقائع وأهوالها ، والقصور ورواءها والخمر وندمانها ، والحضارة واسبابها ، والملاهي على تباين طرقها وتخالف آثارها ، وإن شئت فقل وصفوا كل شيء وقع تحت حسهم وصفا دقّ خياله ، ورقت عبارته ، ففاقوا فيه السابقين ، وأتعبوا به اللاحقين ، يستوي في ذلك شيبهم وشبانهم ؛ ورجالهم ونساؤهم — وفي نفح الطيب من ذلك ما يملك سمعك ، ويستأثر بجملتك وتروقك عبارته وتستهويك صناعته ، ويدعوك إلى حفظه ، ويعاونك على القول ورصفه .

ولم يكن من همهم العناية بالترجمة من الكتب الأجنبية لشغفهم بلغة العرب وآدابها ، ولتعصبهم للدين وعلومه ، وبغضهم للأجانب

لتوتر العلاقات بينهم ، وتربص الايقاع بهم ، على أن الأجانب المجاورين لهم لم يكن لهم نفوذ فى دولتهم وسيطرة عليها ، كما أنه لم تكن لهم مدنية معروفة ، وحضارة مشهورة ، كما كان ذلك فيمن خالط العباسيين من الفرس وغيرهم ، على أن ما ترجم فى الشرق من العلوم والفنون قد نقل إليهم فيما بعد

ولقد كانت معانى اللغة وتصوراتها خالية من الغموض ، بعيدة من التعمق فى الفكر ، متجافية عن الطرق النظرية ، والتدقيقات الفلسفية ؛ وان اختلفت صورها وتعددت منازعها تبعاً لسعة الحضارة وتنوع مناحيها ؛ تكثر فيها الطرف اللذيذة ، والتحف المشوقة والنكات المضحكة من أمثال ما ينثره الجاحظ أثناء كلامه يطلب به تجديد نشاط القارئ وسرور السامع

أما خيالها فدقيق التمثيل واضح التصوير خلعت عليه الملاحة أثوابها ، وأعارته الرشاقة حليها وملابها ، دوح حسنه بالبدائع مثمر ، وماء رقته من السلاسة يقطر ، وماذا نقول فى خيال بلاد الأندلس مصدره ، وأهلها هم حاكته

ولقد تأنق الأندلسيون فى عباراتهم ، فاختاروا لها سهل الألفاظ ، وسلس التراكيب ، وبديع الأساليب ، والتزموا فيها السجع الخفيف الروح ، العذب المساغ ، القصير الفواصل

وفي زمن المرابطين والموحدين ملوك مراكش يوم أن كانت

الدولة تابعة لهم دب فى اللغة دبيب الوهن والضعف وسرى فى جسمها سم التأخر والانحطاط ، وذهبت نضرتها ، وقلت بهجتها لكثرة الفتن الداخلية والحروب المستمرة ، ولان الرؤساء من البربر وقلما تهزهم العبارات الرائقة والأبيات الحكيمة ، فأخذت اللغة تتدهور حتى كاد يقضى عليها ، لولا أن تداركها الله ببنى هود وبنى الأحمر فانتشلوها من وهدتها ، وانعشوها من عثرتها ، وأيقظوها من رقدتها ، واستعادوا لها شيئاً من سالف مجدها ، ولكن مدتهم وان امتدت إلى قرنين ونصف لم تؤثر فى اللغة التأثير المبتغى ، ذلك لأن الفتن فى تلك المدة قد انبثت فى أرجاء البلاد ، وتطلع العدو على التغلب عليها ، وعض على ذلك بالنواجذ ، وعقد عليه الخناصر ، وما زال يتحين غفلة أهلها ويوقع بأسهم بينهم ، حتى شتت شملهم ، ومزق أحزابهم ، وفرق كلمتهم ، واستولى عليهم وأصبحوا أثراً بعد عين

لغة التخاطب

كانت بلاد الأندلس صدر الفتح الاسلامى مؤلفة من ثلاثة شعوب كبيرة : الشعب الأول العرب ومنهم الأمراء والرؤساء ، والثانى البربر وأغلبه من الجند الفاتحين ، والثالث سكان البلاد الأسبانيون . فكانت لغة التخاطب فى تلك الجزيرة متنوعة تبعا لهؤلاء : فاللغة الفصيحة للعرب وخاصة البربر ، والوطنية للأسبان ، والبربرية أو العربية غير الفصيحة لعامة البربر

ثم تحول الحال بكثرة الفتوح وشدّة الاختلاط بالمعاشرة والمصاهرة ، فاستقام لسان البربر واقترب من الفصيح ، وأسلم كثير من أهل البلاد وتعلم العربية ، وبرع فيها ونثر بها ونظم وألف وعلم ، وتزلف الناس لرؤسائهم ، إذ المغلوب مولع بتقليد الغالب ، ففهموا العربية ونبغوا فيها وكتبوا بها وخطبوا وشعروا ودوّنوا ، فانتشرت فى البلاد ، وسار ذكرها فى كل واد ، حتى احتكرت الحوار فى الشعوب الثلاثة

وكلما اقترب أولئك من اللسان العربى اقترب هو من ألسنتهم ، فدخله شيء من التصحيف والتحريف ، والزيغ عن سنن الأعراب وتغيير المبانى ، وان بقيت أساليبه حافظة لشكلها العربى ، ولكن شيئا من ذلك لم يكن ظاهراً في لغة العلماء والأدباء وخاصة الخلفاء والأمراء والمعلمين والمؤلفين ، لأنهم أخذوا أنفسهم بمعرفة قواعد اللغة ودرس كتبها ، والتفاخر بحفظ عقائلها وجمع شواردها ، والتباهى بالاستكثار من النثر والنظم بها ، ولأنهم اختاروا حذق اللغة شعارا لهم ، يدل على كرم أصلهم ، وشرف نجارهم ، وأنهم سادة البلاد وأشرافها

بيد أن ذلك لم يدم كثيراً بعد ذهاب بنى أمية وملوك الطوائف : إذ سال سيل العامية المؤلف من الشعوب الثلاثة ، فما خص بل عم ، وعدا على النثر كما سطا على النظم ، وشمل المتكلمين بالعربية حتى المدرسين والأدباء ، فنظموا بها الموشحات والأزجال ، ودرسوا بها العلوم والفنون ، واتحد فى التخاطب الملوك والسوقة ، وكثر سواد

المتكلمين بها ، ولم يمنع سيلها الجارف ما كان من بنى هود وبنى الأحمر وتعصبهم لاحيائها ، والمحافظة على أهلها : وإجلاء الأجانب من بلادها

والأندلسيون مع تأخرهم عن المشارقة فى النظم باللغة العامية قد فاقوهم واربوا عليهم فقد نوعوا أوزان الموشحات وافتنوا فى اساليبها وأكثروا من الزجل وأوزانه وأحلوها محل الفصيح ، واستعملوها فى كل أغراضه . أما المشارقة فانهم لم يزيدوا على المواليا ولم يكثروا منه ولم يرج لديهم

هذا وأن الناظر فى أزجال الأندلس وموشحاتها يرى ألفاظا سهلة وتراكيب رقيقة ، وأخيلة أنيقة ، مما يدل على أن لغتهم العامة كانت راقية نامية

وأنت ترى أن هذه الأزجال والموشحات لا تكون معياراً مضبوطاً لقياس اللغة العامة للبلاد: ذلك لأن لغة الأدب العامة فى كل صقع وجهة تخالف لغة المحادثة، والسر في ذلك أن القائمين بهذا النوع هم المتعلمون وفحول الأدباء والشعراء ، وأمثال هؤلاء يتسرب إلى عاميتهم كثير من اللغة الفصيحة .

وفى وصف حال اللغة يقول أبو على البغدادى صاحب الأمالى :

لما وصلت القيروان وأنا اعتبر من أمر به من أهل الامصار فأجدهم درجات فى العبارات وقلة الفهم بحسب تفاوتهم فى مواضعهم منها بالقرب والبعد كأن منازلهم من الطريق هي منازلهم من العلم محاصة

ومقايسة ؛ فقلت ان نقص أهل الاندلس عن مقادير من رأيت فى أفهامهم بقدر نقصان هؤلاء عمن قبلهم فسأحتاج إلى ترجمان فى هذه الأوطان ؛ قال ابن بسام فبلغنى أنه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من أهل هذا الافق الأندلسى فى ذكائهم ويتفطن عنهم عند المباحثة والمناقشة ، ويقول لهم إن علمى علم رواية وليس علم دراية ، فخذوا عنى ما نقلت فلم آل لكم ان صححت هذا مع إقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثرة الروايات والأخذ عن الثقات

وقال أيضاً يصف حال اللغة العامة في عصره

والنحو عندهم فى نهاية من علو الطبقة مع أن كلامهم الشائع فى الخواص والعوام كثير الانحراف عما تقتضيه أوضاع العربية حتى لو أن شخصاً من العرب سمع كلام الشلوبين أبى على المشار إليه بعلم النحو فى عصرنا الذى غربت تصانيفه وشرقت وهو يقرأ درسه لضحك بملء فيه من شدة التحريف الذى فى لسانه ، والخاص منهم إذا تكلم بالاعراب وأخذ يجرى فيه على قوانين النحو استثقلوه واستبردوه ولكن ذلك مراعى عندهم فى القراءات والمخاطبات والرسائل

الخطابة

أهل الاندلس أصحاب بداهة ، وعارضة ونباهة ، وحفظ ورواية وفكر ودراية ، إن نثروا بهروا ، وإن نظموا سحروا ، وإن خطبوا أعجبوا ، وان كتبوا أطربوا ، يدهشك ارتجالهم ، كما يبهرك اعدادهم ،

وقد ساعدهم على الافتنان فى القول وامتلاك أزمة الفصاحة (ولاسيما الخطابة) ما اجتمع لديهم من الاسباب التى ساعدت على نهوضها ، وعملت على رقيها ، واتساع أغراضها ، وازدياد النابغين فيها

فقد كان الولاة الفاتحون للبلاد من العرب الفصحاء ، البلغاء الأبيناء ، وأكثر جنودهم ممن يؤثر فيهم الكلام الجزل ، و القول الفصل، وكان خصمهم الألد داخل البلاد، واقفاً لهم بالمرصاد، يصاولهم فى كل بلد وواد، فلذلك كانوا أحوج إلى الخطابة من المعصم للكف ، والفارس للسيف، إذ هى المحضاء الذى يلهب نار الحمية فى قلوبهم ، ويذكى جمرة الغيرة فى نفوسهم ، ويبعث فيهم روح الأمل ، ويقطع عنهم غائلة اليأس ، ويحببهم فى بذل المهج ، ويغريهم بنيل الشهادة ، فيستميتون فى الذود عن حياضهم والدفاع عن أعراضهم

وقد كانت عباراتها فى أثناء هذه المدة سهلة التراكيب، واضحة المعانى قليلة الاستعارات ، تتجافى عن تعمقات الفلاسفة ، وتخيلات الشعراء، يقل فيها السجع ، ويكثر الترسل ، وتكاد تنحصر أغراضها فى الدفاع عن الدين ، والحض على الجهاد ، والصبر على منازلة الحوادث، وملاقاة الكوارث ومقارعة الخطوب ، ولما حدثت الفتنة آخر مدة الولاة بين المضرية واليمنية كان التناصر للعصبية والتعصب للقبيل من أكبر أغراضها وأهم مقاصدها

وفى دولة بنى أمية وملوك الطوائف كثرت العلوم والفنون ،

وعنى الناس بدرسها والمناظرة فيها ، وزخرت بحور الحضارة وكثرت مناحيها. وتنوعت ألوانها فتعددت اغراض الخطابة تبعاً لتعدد أغراضها وكثرة دواعيها ، حتى قيلت فى كل غرض قيلت فيه فى المشرق ، ولا سيما حينما استحكمت حلقات النزاع بين أهل البلاد وتفرقوا شيعا كل يناضل عن كيانه ، ويدافع عن حياته

ومما زادها احكاماً وأهلها اقبالا تولى العظماء والأمراء أمرها ، والمبالغة في اكرام من يجيدها ، حتى أضافوا القضاء إلى الخطابة وجعلوا لفظ الخطيب من ألقاب التعظيم والتشريف ، فنبه بذلك شانها ، وكثر مرتجلهـا ، وأغرى الناس بالحفاوة بها ، والعلماء بالنبوغ فيها ، ولا غرابة فمن تنقاد له اللغة الفصيحة فى المحادثة والشعر الرقيق على البداهة ، فهو على ارتجال الخطابة أقدر ، وهى له أطوع ، ولا سيما عند ما شعر أهل البلاد بالبلاء الذى أحدق بهم والخطر الذى دهمهم ، خطر العدو الذى سال سيله الجارف ، فلم يقف أمامه قوة ولا حول ، ولا طول ولا صول

وقد كانت عباراتها فى هذه المدة يغلب عليه السجع الخالى من التكلف وتكثر فيها الاستعارات الرقيقة ويوجد فيها كثير من خصائص الكتابة ، وكانت ملكتها تامة عند كثير من الأدباء والعلماء والملوك والأمراء حتى عدت من ألزم أوصافهم وأعظم مناقبهم

وبعد هذه المدة ضعف شأنها وانحط قدرها لغلبة العجمة على أهل البلاد بل على الملوك والأمراء فظهرت فيها الصنعة وغلب عليها التكلف والتزم فيها السجع الممل وذهبت مملكة الارتجال من أهلها ، فصارت لا تقال إلا بعد تبييت واعداد وفى جمعة أو أملاك

وكثيراً ما كانوا يستعيضونها بالمرسومات التي يرسلون بها إلى الناس فى مواقف الخطابة كما ترى ذلك واضحاً فى كتابات لسان الدين بن الخطيب

وأن القارئ فى مؤلفات الاندلس كالقلائد والمعجب والمطمح والنفح والاحاطة يرى كثيراً من الخطباء الذى وصفهم هؤلاء المؤلفون بكل ما ينبغى أن يوصف به الخطيب البارع : من جودة العبارة وشدة تأثيرها والقدرة على ارتجالها مع ثبات الجأش ، وقوة القلب ، ثم إذا بحثت بعد عن خطب لأولئك لم تجد فى هذه الكتب إلا نتفاً يسيرة جاءت منثورة فى أثناء كلامهم لا تشفى غلة الباحث ولا يمكنك أن تستدل بها تماما على حال الخطابة . ولعل السر فى هذا أن أولئك المؤلفين أرادوا التفاخر بأهل بلادهم فاختاروا من الكلام ما كان لفظه عذباً رشيقا ، وخياله بارعا انيقا ، وهذا لا يجتمع على الوجه الذى ينبغى إلا فى الرسائل والشعر فاكثروا من ذكرهما وبالغوا فى سردهما

أما الخطب فلما كان الغرض منها أن تصل إلى القلب بدونه

معاناة فهـم ولا معالجة تعقل ، وكانت لاتقال إلا فى المجامع العامة والأندية العظيمة، ومثل هذه تجمع بين الطبقات المختلفة فى الفصاحة والبلاغة ، كان من المحتم على الخطيب أن ينتحى فيها جانب السهولة ويترك طريق التعمل والتأنق حتى يملك اسماع الحاضرين ويستولى على نفوسهم ، وبدهي أن الخطابة الارتجالية إلى السهولة أقرب وعن الصنعة أبعد . أو إنهم رأوا أن الخطابة قد جمع كثير منها فى دواوين خاصة واشتهر أمرها بين الناس فاستغنوا بجمعها عن ذكرها فى كتبهم

أو أن هؤلاء الخطباء كانوا شعراء وكتابا أيضا كما ترى ذلك فى تراجمهم فاختار المترجمون أن يثبتوا لهم من الشعر والرسائل ما يكون مقياسا لنبوغهم، ومعياراً لرقيهم ، ويتركوا الخطب

أما عدم وصول شيء منها إلينا فلعل سببه إبادة تلك الدواوين فيما أباده الأسبان وأحرقوه من كتب العلم والدين والأدب أيام أغارتهم على المسلمين تلك الاغارة التي كانت نتيجتها مهاجرة أهل البلاد وامحاء سلطانهم منها

على أن ندرة الخطب لاتصلح دليلا لفقد الخطابة أو ضعفها فهذا قس بن ساعدة الأيادى خطيب العرب بلا مدافع لم نجد له إلا خطبه واحدة كان الرسول الأمين هو السبب فى بقائها. وهذا سحبان وائل الذى خطب مرتجلا من صلاة الظهر إلى أن حانت صلاة العصر ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ولا تلكأ وهو الذى

قال له معاوية أنت أخطب العرب فلم يقبل وقال والعجم والجن والانس ، لم نجد له إلا بعض سطور تنازعه فيها بعض الاعراب

الكتابة فى الأندلس

كان لأهل الأندلس عناية تامة باقتفاء آثار أهل المشرق ، فقد حاكوهم فى كثير من شئونهم الخاصة والعامة ، فتشبهوا بهم فى مدائنهم وعمائرهم وقصورهم ومتنزهاتهم ، حتى استعاروا لها أسماءها ، وقلدوهم فى دواوينهم ونظامهم ورسومهم وكتب علومهم ، وكانوا فى عملهم هذا تارة يلحقون ، وأخرى يتخلفون ، وآونة يسبقون ، وعلى هذا الحال كانت كتابتهم

ففى مدة الولاة وصدر بنى أمية كانت كحالها فى الدولة المروانية: الأمير هو المملى ، وليس للكاتب إلا أن يخط بيده ، وكانت خالية من الزخرف ، جزلة الألفاظ ، متينة التراكيب ، بدوية الأساليب، موجزة العبارات ، واضحة المعانى ، وكانت أغراضها محدودة ، إذا لم يزخر بعد بحر الحضارة ولم يتسع مداها

وفى مدة زهو الاموية وملوك الطوائف تناولت أغراضها كل أغراض أهل المشرق بل زادت عليها ، فقد كتبوا فى التنصل والاعتذار والعتاب والافتخار ، والمدح والذم ، والشوق والوصف (وهو عماد كلامهم) والجد والهزل ، والتهانى والتهادى ، والرثاء والاقتضاء ،

والمناظرة والمنافرة ، والاستزارة والشكوى ، والوصية والعناية ، وفى العقود والعهود ، الى غير ذلك مما تراه منثوراً فى كتبهم

أما العبارة الاندلسية فقل فيها ما شئت ، من ألفاظ قاسمت الصباح تنفسه ، والسحر نفثه ، والشمس ضوءها ، والنجوم تلألؤها ، ومن معان تكاد تظهر من المبانى ، وتتحلى بها لبات الغوانى ، ومن أساليب اكتسبت رقة الماء ، ولطف الهواء ، قد وشحت بتشبيهات كالنسيم غب المطر ، وتنفس الأنوار وقت السحر ، والنرجس الغض والورد الندىّ ، والاقحوان المنوّر ، وتحلت باستعارات تستعير منها الأنهار عذوبتها ، والطيور سجعها ، والعذارى حليها ، والرياض نورها ، ولن تجد لهم رسالة تخلو من الاستعارات والتشبيهات ، وأكثر ما يكون ذلك بالسماء ونجومها ، والجداول ومائها ، والطيور وهديلها ، والسحب وأشكالها ، والرياض ونضرتها ، والخمر وندمانها ، يدمجون ذلك فى أثناء كلامهم بل يستطردون اليه استطراداً ، بعثهم عليه حال بلادهم ، ورقة هوائهم ، وصفاء أجوائهم ، ووفرة محفوظهم

وقد اختاروا السجع القصير الفواصل ، لرنته فى السمع ، وتأثيره فى الطبع ، ولما فيه من النظام وجودة التقسيم ، وتغالوا فيه حتى أربوا على المشارقة ، فلا ترى لهم رسالة الا والسجع قد عمها ، وانبث فى كل فصولها ، بل ولعوا به ، فألفوا به الكتب ، ودونوا التواريخ ، ولم يزل لهم فيه قلم ، ولا كبا لهم جواد ، بل أتوا به فى ذلك كله أرق

من النسيم ، وأشرق من المحيا الوسيم ، وألصق بالنفس ، وأطبع في القلب ، وأملك للسمع

ولما في بلادهم من حسن التنسيق ، وجمال المناظر ، غلب عليهم الخيال الشعرى ، فظهر جلياً في رسائلهم ، فاذا ما قرأت رسالة خلت انك بين غصن آس ، وظبي كناس ، أو روضة قد أينعت ثمارها ، ودوحة قد تهدلت أغصانها ، أو سماء تحلبت أشداقها ، وأودية سال سيلها ، أو أنك تسمع خرير ماء ، وتصفيق هواء ، أو تغريد بلابل ، وترجيع عنادل

ولقد كتبوا على هذه الطريقة الرسائل الضافية في الجد والهزل والكتب السابغة ، في الموضوعات الخيالية ، كما كان شانهم في المناظرة ، والمفاخرة بين حيوان وحيوان ، وبلد وبلد ، وأداة وأداة ، وأول مناظرة بين السيف والقلم كان مطلع شمسها من المغرب لا من المشرق

وقد عنوا بشحن أذهانهم بالأبيات العذبة ، والحكم الرائعة ، والأمثال السائرة ، والتشابيه العقم ، فأذا ما كتبوا استعاروا من البحر تدفقه ، ومن السيل انحداره ، فسالت قرائحهم ، فأطالوا وأطنبوا ، وأكثروا من حل الأبيات وسردها وبثوا الأمثال ، ونشروا التشابيه ولمحوا الى الوقائع والقصص ، حتى كان الاطناب من أخص أوصافهم ، ومن أدل الأشياء على كتابتهم ، والاسهاب الغالب عليهم في التشبيهات

والاستعارات والاستطرادات في الأوصاف لا في المقدمات ، والموجز من رسائل الاندلس قليل نادر

ولقد منحوا أنفسهم الحرية في اختيار المبدأ والختام ولم يلتزموا شيئاً من ذلك فيما يكتبونه للعلماء والأمراء ، والسلاطين والخلفاء ، والقضاة والخطباء ، وفي العقود والعهود ، والكتب العامة والخاصة ، والاخوانية والسلطانية

(٢) ولم يعبثوا بالتورية وأقسامها ، والجناس وأنواعه ، والاستخدام وطرقه ، بل تركوا ذلك يأتي في كلامهم عفوا بلا قصد . وقد استعمل بعضهم نوعا منه وروّى فيه بمصطلحات العلوم ، وأسماء السور وعظماء الرجال والشعراء فغث كلامه وسمجت عبارته

(٣) ولم يهتم الأندلسيون في رسائلهم بما كان يهتم به أدباء المشرق من الحفل بالألقاب وأنواع الدعاء وتحديدهم لكل ذي مرتبة لقباً خاصاً ، ودعاء كذلك ، بل لقبوا بما شاءوا ، ودعوا بما جادت به خواطرهم

وكان من عادتهم في السلطانيات والاخوانيات أن يستعملوا خطاب المواجهة فيقولون لك وعليك ، ومنك واليك

ثم أخذت الكتابة بعد هذه المدة يتقلص ذكرها ، ويذهب رواؤها ، ويظهر فيها التكلف ، وتمحي خصائصها شيئاً فشيئا ، فذهب منها الاستكثار من التشبيه البديع ، والاستعارات الفائقة ، وقلت

السلامة النادرة ، والسجع القصير الفواصل ؛ وصدر بعض الرسائل السلطانية بالألقاب الخاصة والرسوم المحدودة ، وبقى فيها السجع الطويل الفقرات والاطناب الممل . ومن الاغراض التى ظهر فيها الاطناب واضحاً رسائل الشكوى والاستشفاع برسول الله صلى الله عليه وسلم والاولياء والصالحين وأولى السطوة من السلاطين ، كما كان ذلك فى رسائل لسان الدين بن الخطيب التى كان يرسلها مع الحجاج لتقرأ عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغيث فيها مما حل بأهل الأندلس من عدو الدين المتغلب على المسلمين ويستمطر بها الرحمة ويرجو المعونة ، وذهب خطاب المواجهة وحل محله الخطاب مع ميم الجمع ، ومع هذا كله بقيت الكتابة وفيها آثار الجمال والرونق حتى استولى العدو على البلاد وانتقل كثير من أهلها الى بلاد المغرب فكان منهم الكتاب المشهورون والشعراء المتقدمون

الشعر فى الأندلس وأسباب نهضته

كان الشعر مدة الولاة وصدرا من بنى أمية يشابه كثيراً حاله فى الدولة المروانية : عبارة جزلة ؛ ومعان واضحة ، وأساليب بدويه ، وخيال فيه شىء من رونق الحضارة ، من أهم أغراضه التشوق إلى الأوطان ، والحث على الجهاد ، وفتح البلاد ، والدعوة إلى العصبية وفى مدة زهو الأمويين وملوك الطوائف ، رقت ديباجة

الشعر ، وسحر خياله ، وتألق ضوءه ، وتفجرت أنهاره ، ونضجت ثماره ، وسلست تراكيبه وتنوعت أساليبه ، تنوع ألوان الأزهار في مختلف الاشجار ، وتعددت فنونه وأغراضه ، وكان الوصف واسطة قلادتها ، وغرة جبينها ، وولع به الخلفاء والأمراء ، والفقهاء والوزراء ، والصناع والتجار ، والعالم والعامى ، والعربى والعجمى ، والاماء والحرائر ، والشيب والشبان ، حتى صار ملهج لسانهم ، ومربع أنسهم ، ومرتع لهوهم ، ومنبع بدائعهم ، ومصدر روائعهم ، ومثير دفائنهم

ذلك لأن القوم من أصل عربى ، قد فطروا على الشعر وأولعوا به ، يهزهم منه ما دق نظامه ، وصقلت أطرافه ، ودبجت حواشيه ورق خياله ، وأمدتهم بلادهم بما وسع مدى الخيال أمامهم وأورثهم التفنن فيه : من سماء صافية الأديم ، ساطعة الكواكب ضاحية الشمس ، ومن رياض وجنان ، وغوان حسان ، وولائد وقيان وأرض خضراء ، وأودية فيحاء ، وانهار متدفقة ، وبحار زاخرة ، وسفن ماخرة ، وجبال شامخة ، وقصور باذخة ، ونعم وزخرف ، وحضارة وترف ، واتساع ملك ، وضخامة سلطان ، وجاه واسع ، وعز سابغ ، ورقة ومجون ، وخلاعة وهزل ، وخمر وندمان ، وبهجة ذات ألوان — وضاعف حب الشعر فى نفوسهم ما كان من حفل الملوك به والأمراء ، والسادة والعظماء ونظمهم قلائده ، وحفظهم

شوارده ، وأخذهم أولادهم به ، وحثهم على التمسك بأهدابه ، والاعتصام بعراه ، وأغداقهم على أهله العطايا الجزيلة ، والهبات الوافرة ، حتى كثر المتكسبون به ، ورفه حالهم ، وانقطعوا إلى الملوك والخلفاء ، والقواد والأمراء ، ومن أهم الأسباب التى ساعدت على نهوض الشعر وكثرة الشعراء تقليد الملوك لكثير من مجيديه (وان انحطت بيوتهم) المناصب العالية ، والدرجات الرفيعة ، حتى اتخذوهم بطانة وندماء ، وأنصاراً ووزراء وحتى أسلموا إليهم قياد أمورهم ، ووكلوا إليهم مهام شئونهم ، فاستسفروهم إلى الأعداء بل استنابوهم فى جميع الأشياء ، أضف إلى هذا شدة شغفهم بمحاكاة أهل المشرق ، في استكثارهم من الشعراء والمغنين ، واجزال الصلات لهم ، والمسامرة معهم ، ونظمهم للشعر ، وتمكنهم من نقده ، فقد حاولوا أن يحاكوهم فى ذلك كله حتى اتخذ بعضهم داراً لانشاد الشعر خاصة يحضرها الملك ويؤمها الشعراء يوم الاثنين من كل أسبوع : لينشدوا ما جادت به قرائحهم ، وليكون التنافس أداة لتحريك عقولهم ، وألهاب نار الاختراع فى نفوسهم ، فينمو عديدهم ، ويكثر مجيدهم ؛ وكثيراً ما كانت الملوك تتنافس فى اصطفاء الوزراء المفلقين فى الشعر ، البارعين فى الكتابة ، حتى بلغ بهم هذا التنافس إلى أن دسوا الدسائس للافساد بين بعض النابغين وملوكهم ليظفروا بهم ، فيحوزوا قصب السبق .

ثم أخذ حال الشعر يتغير ، وظله يتقلص ، ولا سيما مدة دولة المرابطين والموحدين ، وإن كان فيهم من الملوك من يفهم الشعر ويثيب عليه .

وفي مدة بني الاحمر أورقت أغصانه وأثمرت ، ولكن ثمرتها لم تنضج لكثرة الفتن الداخلية ، وتغلب العدو على البلاد وانقراض أهلها

وإليك كلمة موجزة في أغراض الشعر وفنونه ، ولفظه وأسلوبه ، ومعانيه وأخيلته ، وأوزانه وقافيته ، مدة زهو الأندلس

(أغراضه) لم تخرج أغراض الشعر الأندلسي عما كانت عليه في المشرق وان تنوعت بعض التنوع تبعاً لما اقتضاه الحال

ذلك لأن علم أهل الأندلس وأدبهم ومدنيتهم وصلت إليهم من المشرق ، اما بنقلهم لها بالتعلم فيه ، واما لانتشارها فيهم بانتشار الوافدين منه ، واما باقتباسهم لها من كتبه التي كانوا يبذلون النفيس في اقتنائها فقد نقل إليهم فيما نقل جل دواوين الشعراء وهي مفعمة بأغراض الشعر المتعددة من نحو فخر وحماسة ، ومدح وهجاء ، وتهنئة ورثاء ، ووصف خمر وندمان ، ونساء وغلمان ، ورياض وجنان ، وعبث ومجون ، وتصوف وزهد ، وحكمة وفلسفة ، فحاكوهم في ذلك كله ، فكانوا في بعضها لا يشق لهم غبار ، وظفروا من بعضها الآخر بما ظفر الفرزدق من نوار ، وغلب عليهم الوصف بأنواعه ورثاء الممالك الزائلة ، والمدن والبلدان ، والاستغاثة والاستنجاد بالرسول

المصطفى عليه الصلاة والسلام وكبار الصالحين ، وأولى القوة من السلاطين ، ونظم العلوم والفنون ، والهزل والمجون . والسر في نبوغهم في الوصف أن حسن مناظر بلادهم ، وكثرة انتشار الجمال بأرضهم ، وتوافر أسباب الخلاعة واللهو لديهم اغراهم بجودته والتوسع فيه والاهتمام بأمره حتى أحلوه محل النسيب ، وصدروا به القصائد الضافية

والمطالع على شعرهم يرى أنهم قد وصفوا الرياض وأشكالها ، والاشجار وأقسامها ، والأزهار على اختلاف ألوانها ، والثمار على تعدد ضروبها ، والطيور وأسرابها ، والأنهار ومدها ، والبحار وأمواجها ، والبرك وماءها ، والخضر وأنواعها الى غير ذلك من المناظر الطبعية

ووصفوا أيضا السحب وتراكمها ، والرعود وأصواتها ، والبروق ولمعها وقوس قزح وألوانها ، والامطار وماءها وبردها ، والسماء ونجومها والشمس وشروقها وغروبها ، والشفق وألوانه ، وغير ذلك من الحوادث الجوية

وتفننوا فى وصف الأساطيل البحرية ، والجيوش البرية ، والمعارك الدموية ، وكل ما يختص بالحرب ونشوبها ، لكثرتها فى بلادهم أول أمرهم وآخر مصيرهم ، وبالغوا فى وصف الحضارة ونعيمها ؛ فوصفوا القصور الفخمة والمصانع الضخمة ، والتماثيل الجميلة ، وفوارات المياه ، الى غير ذلك من جليل ودقيق ، وحسن وقبيح ، وحسى وعقلى ، وصفا يشهد ببراعتهم ، ويدل على تمام ذوقهم ، وكمال استعدادهم ،

كان وصفهم واضحا مفصلا ، مرتبا منسقا ، وعنوانا على مدنيتهم ، ومعياراً لحضارتهم ، ورسما جليا لآثارنعيمهم

أما رثاء الممالك والبلدان والمدن فذلك لكثرة ما كان يختطفه العدو منها وهم بها بين ريحان وراح ، وأنس وأفراح ، فيصبحون وقد عمهم الشقاء ، وحالفتهم البأساء ، فيندبون أوقاتهم السالفة ، وايامهم الذاهبة ، ودولهم الزائلة ، ومن أشهر قصائدهم فى ذلك قصيدة ابن عبدون يرثى دولة بنى الافطس التى مطلعها :

الدهر يفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الاشباح والصور

وقصيدة صالح الرندى التى يرثى بها الأندلس ومطلعها :

لكل شئ اذا ماتم نقصان فلا يغر بطيب العيش انسان

وأما الاستنجاد والاستشفاع فذلك لما حل بالبلاد من الضعف وظهر فيها من تغلب العدو القاسى الذى لايرحم الصغير ولا يوقر الكبير ، ولا يبالى الغنى ولا الفقير فضجوا بالشكوى إلى من يعينهم على عدوهم ، ويدفع غائلته عنهم ، ومن أشهر قصائدهم فى ذلك قصيدة الوقشى البلانسى ، يستنجد فيها بأحد ملوك الموحدين ومطلعها

أبت غير ماء بالنخيل ورودا وهامت به عذب الجمام برودا

وقصيدة لسان الدين بن الخطيب التى يخاطب بها ملك المغرب من بنى مرين وأولها :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل إلى منجاتها درسا

وقصيدته التى أرسلها إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومطلعها :

إذا فاتنى ظل الحمى ونعيمه فحسب فؤادى أن يهب نسيمه

وأما نظمهم العلوم والفنون فلأن القوم لكثرة ممارستهم للشعر سهل عليهم تعليقه فنظموا العلوم ليسهل عليهم حفظها وليكون أثراً باقياً بعدهم ومزية لبلادهم ، فنظموا كثيراً من العلوم كالنحو ورسم الحروف والقراءات والفقه والتاريخ إلى غير ذلك .

ومن أول هذه المنظومات أرجوزتان في العروض والتاريخ لابن عبد ربه ، ومنها ألفية ابن مالك ، واللامية ولرائية للشاطبي فى القراءات ورسم المصحف .

ومما لم يخضع لهم من الأغراض أبيه ، ولا أنس لقائدهم نافره ، الشعر المشتمل على الحكم البارعة ، التى سارت مسيرالأمثال كشعر المتنبي وأبى تمام وصالح بن عبد القدوس ، أوعلى الأغرض الفلسفية كشعر أبى العلاء المعرى ، أو على الوعظ والتزهيد كشعر أبى العتاهية وسبب هذا واضح : لأن الأول والثانى يحتاجان إلى علوم الفلسفة وهم لم يحفلوا بها مدة زهوهم ، ولا أعاروها التفاتهم ، ولما يحتاج إليه نظم هذا النوع من كد الفكر وهم يحبون من الشعر ما يأتى عفوا سهلا

أما الزهد والتصوف فلأن بلادهم بلاد أنس وسرور ، وعجب وخيلاء لا بلاد تصوف وزهد .

وقد عنى بعض علمائهم بالتصوف والزهد والحكم ونثروا فيها ونظموا وذلك مثل محي الدين بن العربى وأبى عثمان التجيبى ولسان الدين بن الخطيب

(لفظه وأسلوبه) كانت ألفاظ الشعر فى الاندلس عذبة رقيقة وأساليبه طلية رشيقة ، ولا سيما ما كان منها فى الغزل والشكوى من الدهر وصروفه ، تقرأ القصيدة الضافية مدة زهو الاندلس فلا تحتاج الى معجم لشرح كلمة كما أنك لا تكد فكرك لفهم تركيب ، بل تقرأ الألفاظ فتأتيك معانيها ارسالا واذا تتبعت كثيراً من قصائدهم رأيت أساليبها توصل المعانى الى الآذان بدون استئذان ، وتعلق بالقلب بدون الكد ، يمقتون ازدحام المعانى وحشدها وتحميل الألفاظ منها فوق طاقتها ، كما يمقتون الاستكثار من البديع حتى تضيع المعانى فى خلاله ، أما استعاراتهم وتشبيهاتهم فلا يضارعهم فيها مضارع ولا يشاكلهم فيها أحد

(معانيه وأخيلته) كانت معانى الشعر واضحة جلية ، بعيدة عن تعمق الفلاسفة وتدقيق الحكماء ، وذلك لقلة المشتغلين منهم بذلك ولأن أكثرهم يميل إلى عدم الصنعة والتكلف حتى كثر فيهم المرتجلون للشعر الحسن، وقد ألم بن ظافر في كتابه بدائع البدائه بشيء من ذلك

وكانوا كثيرا ما يلمحون إلى الحوادث الجلى ، والوقائع الكبرى

ولا سيما ندب الممالك الزائلة والبلاد الساقطة في يد العدو

وكان الخيال هو الغالب على معانيهم ؛ لما علمت من ولوعهم بالوصف لاستكمال أسبابه من أمور طبعية ، وحوادث جوية واتساع نعيم وزخرف ، على أنه هو مادة الشعر بل هو الشعر كله .

(أوزانه وقافيته) لم يجمد الأندلسيون على ما ورثوه من أوزان الشعر العربي والمواليا بأنواعها بل زادوا عليها وتفننوا فيها أيما تفنن ، واخترعوا مايسمى بالموشحات والأزجال

ابن زيدون

قال ابن نباتة المصري : هو الوزير أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي الكاتب الشاعر المشهور ولد بقرطبة سنة ٣٩٤ وكان من أجل أبناء الفقهاء المشهورين ، واشتغل بالأدب وفحص عن نكته ونقب عن دقائقه إلى أن برع وبلغ في صناعتي النثر والنظم المبلغ الطائل ، وانقطع إلى أبي الوليد بن جهور أحد ملوك الطوائف المتغلبين بالأندلس ، فخف عليه وتمكن من دولته واشتهر ذكره وقدره ، واعتمد عليه في السفارة بينه وبين ملوك الأندلس ، فأعجب به القوم وتمنوا ميله اليهم لبراعته وحسن سيرته ، واتفق أن ابن جهور نقم عليه أمراً فحبسه ، واستعطفه ابن زيدون برسائل عجيبة وقصائد بديعة فلم تنجع ، فهرب واتصل بعباد بن محمد صاحب أشبيلية الملقب بالمعتضد فتلقاه بالقبول والإكرام وولاه وزارته ، وفوض اليه أمر مملكته ، وكان حسن التدبير تام الفضل متحببا إلى الناس فصيح المنطق جداً .

منزلته في الكتابة

قدمنا لك أن الأندلسيين مولعون بتقليد الشرقيين في كل شيء ولا سيما الأمور الأدبية وقد ظهر ذلك جلياً في الرسالة التي أنشأها ابن زيدون على لسان ولادة بنت المستكفي التي عبث فيها بالوزير ابن عبدوس وهي المشهورة بالرسالة الهزلية فانه نحا فيها منحى الجاحظ في رسالته التي همز فيها احمد بن عبد الوهاب الكاتب البغدادي المسماة بالتربيع والتدوير

وقد تفنن ابن زيدون في رسالته هذه فأودعها كثيراً من الامثال تارة بلفظها، وأخرى بالاشارة إليها، وآونة بتضمين معناها، وأضاف إلى ذلك نثر كثير من الأبيات الحكمية ، وتضمينها في تضاعيف عبارته واهتم فيها بالتلميح إلى الرجال المشهورين والحوادث الجلى ، متبعاً في ذلك خطة التهويل فيما ارتكبه فيها من التشبيه والفروض والأقيسة وصاغ ذلك صياغة العبقري الماهر والكاتب القادر ، فدل على سعة اطلاعه وطول باعه، وتصرفه في فنون الأدب ومختلف العلوم ، وقدرته على الهجاء المقذع والتهكم الشنيع ، كما دل على مهارته في امتلاك قلوب القراء ودفع السآمة عنهم واغرائهم بقراءة ما يخط وان دل على ثرثرة ونحش، ونم عن غلاظة وجفاء طبع وغثاثة رأى ، وعن حقد وحسد وانتقام

ثم قفى على آثارها برسالة أخرى كتب بها لابن جهور وهو فى حبسه يستعطفه بها وهي التى اشتهرت بعد بالرسالة الجدية نحا فيها ذلك المنحى

بيد أنه عنى بها العناية كلها لفظا ومعنى وأسلوبا وسبكا ، وكأن الحبس أطلق لسانه وبيانه ، وهاج شعوره ووجدانه ، فجمع فى هذه الرسالة ما يوصله إلى مآربه ويقربه من مقصده : من أفكار المتقدمين وآراء السابقين ، وظهرت فيها نفسه الكبيرة وشممه العالى ، كما ظهر فيها حسن تنسيقه لما أراد أن يذكره فيها من المعانى والأغراض ، فقد أبان فيها حسن مدافعته عن نفسه ، ونشر فيها مآثره ومفاخره ، واستعرض فيها خدماته لمولاه وإخلاصه له وولاءه ، وشدة تمسكه بأذياله واعتصامه بحباله ، على كثرة الداعين إليه والراغبين فى أدبه ، وجلى له حيل المحتالين ، وأعمال النظراء الواشين ، والحساد والمفسدين وأغراه بالعفو بعد ما صدر منه من أنواع الاساءة ، إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد المنطوية فى غضون هذه الرسالة . ولم يحفل فيها بالسجع غالباً كما هى طريقة الأندلسيين ، وكأنه كان يريد بهذه الطريقة أن يدل على غزارة مادته وسعة محصوله ، وقوة استحضاره وكمال استعداده للتلاعب بالألفاظ والمعانى ، ليظهر فوقه على ابن عبدوس ليكون ذلك سبباً فى اختصاصه بولادة ، وليذكر ابن جهور بما له من المزايا الفائقة فى فنون الأدب فيكون ذلك شافعا له عنده إذ كان

تنافس الملوك فى الحصول على الشعراء والكتاب أمرا مستفيضا عند ملوك الطوائف

ورسائل ابن زيدون الأخرى فيها لوثة من هذه الطريقة وليست على نسقها تماما ، والظاهر أن هذه الطريقة لم تكن ملتزمة له إلا فى هذا النوع من الكتابة ، لانه رأى أن الاغراق فى المجون والمبالغة فى الاستعطاف يستدعيان الالمام بكل ما اشتهر فيهما من حكمة بارعة ، ومثل سائر ، وبيت حكيم

أما كتابته الأخرى فهى إلى طريقة المشارقة أقرب منها إلى طريقة المغاربة لما فيها من ربط الأسباب بمسبباتها والسير بها وراء الفكر والتعقل وكثرة الأقيسة وعدم التزام السجع والزخرف مع قلة التشابيه والاستعارات المنتزعة أخيلتها من الطبيعة

منزلته فى الشعر

انتشر المجون فى البيئة التى عاش فيها ابن زيدون وكثرت فيها مغانى الأنس والطرب ، وأندية العلم والأدب ، وخب فيها ابن زيدون ووضع ، وكان علما من أعلامها ، وفارسا من فرسانها ، يتعاطى فيها كئوس اللهو صافية، وينشر فيها كلاما كالمدام، وشعرا كالسحر، واتصل هناك بولادة بنت المستكفى وكلف بها وكلفت به ، وكان بينهما ما يكون بين العاشق والمعشوق : من سخط ورضى ، وقرب وبعد ، وحب وصد ، وجزر ومد ، ووصل وفصل ، وكان اتصاله بها (على ما فيها

من بارع الجمال وغض الأدب ، وجميل النادرة ، وجيد الشعر ، وظريف الحديث) سبباً لاثارة منافسات بينه وبين الوزير ابن عبدوس قد طار شررها ، واستطار شرها ، فألهبت فؤاده ، وأظهرت كامن فكره ، وأشعلت نيران هواه ، هذا إلى ما تقلب فيه ابن زيدون من سراء وضراء ، وشدة ورخاء ، ونضارة حال ، ورغد عيش ، واتساع جاه ، وقوة سلطان ، ومحاربة حساد ورقباء ، ووشاة وأعداء ، وانهزام فى ميدان الجهاد ، وحبس واعتقال ، وحرية واستقلال

كل هذا أثر فى شعر ابن زيدون فجعله خفيف الروح ، عذب اللفظ ، واضح المعنى ، حسن الخيال ، مؤثراً فى النفس ، لانه يصور ما فيها فيحكم التصوير ، ويخرجه للناس كما هو فى الضمير ، وكل ما خرج من القلب حل فى القلب ، فقد كان أكثر شعره تعبيراً عما فى نفسه لبيان أنسه وبؤسه ، وكان فى عشقه يصف ما يخامر فؤاده من لواعج الحب وآلام الوجد ، ويتشوق فى أيام بعده إلى اللقاء ويتشوف ويذكر الأيام الماضية وما كان فيها من غضارة ونضارة ، وسعادة وسرور ويستعرض أمامه أماكن اللهو ومواطن الاجتماع ، وظريف النوادر وجميل المؤانسات ، ليسلى نفسه ويذهب شجنه

وفى أوقات حبسه يذكر ما يساوره من الوجوم ، وما ينتابه من الهموم ، ويفخر على أعدائه ، ويتجلد أمام حساده ، ويبين فضائله

ومآثره ، ويستعطف مولاه بما تلين له القلوب القاسية ، وتندك له الجبال الراسية

أما مدحه وان اقتصر فيه على الملوك الفخام ، والامراء العظام ، فليس له فيه من المعانى المبتكرة ، والافكار الجديدة ، ما يتناسب مع قدره ، ويتلاءم مع جلال شأنه

وجملة القول فيه أنه بحترى المغرب كما قال فيه أدباء الأندلس ، وذلك لجودة صياغته ، وحسن ديباجته ، وجمال خياله ، ورقة لفظه ، وسلاسة أسلوبه ، ووضوح معناه ، وجلال أثره فى النفوس وموقعه من القلوب

ومن محاسن شعره :

أضحى التنائى بديلا من تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا ... شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
يكاد حين تناجيكم ضمائرنا ... يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت ... سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
إذ جانب العيش طلق من تألفنا ... ومورد اللهو صاف من تصافينا
وإذ هصرنا غصون الأنس دانية ... قطوفها فجنينا منه ما شينا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا ... بأن نغص فقال الدهر آمينا

ومن بديع انسجاماته :

ودع الصبر محب ودعك ... ذائع من سره ما استودعك

يقرع السن على أن لم يكن　　زاد فى تلك الخطا إذ شيعك
يا أخا البـدر سناء وسنا　　حفظ الله زمانا أطلعك
أن يطل بعدك ليلى فلـكم　　بت أشكو قصر الليل معك

ومنها :

بينى وبينك ما لو شئت لم يضع　　سر إذا ذاعت الاسرار لم يذع
يا بائعا حظه منى ولو بذلت　　لى الحيـاة بحظى منه لم أبع
يكفيك أنك لو حملت قلبى ما　　لاتستطيع قلوب الناس يستطع
ته أحتمل واستطل أصبر وعز أهن　　ودل أقبل وقل أسمع ومر أطع

وشعره كثير فى القلائد والنفح وغيرهما فارجع إليه إن شئت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله . والصلاة والسلام على رسول الله ، سيدنا محمد وعلى آله ومن والاه .

(قال صاحب الرسالة الفاضل ابن زيدون)

يا مولاى(١) وسيدى(٢) .

---

(١) (المولى) له معان كثيرة : الأليق منها هنا السيد أو المنعم ومنها العبد أيضاً قال أبو تمام

(مولاك يا مولاى صاحب لوعة   فى يومه وصبابة في أمسه)
(دنف يجود بنفسه حتى لقد   أمسى ضعيفا أن يجود بنفسه)

وقال أبو اسحق الغزى

ولن يتساوى سادة وعبيدهم   على أن أسماء الجميع موالى

(٢) (السيد) من ساد على قومه وارتفع بمناقبه ومزاياه بدون توقف على اصالة أو نسب

نفس عصام سودت عصاما   وعلمته الكر والاقداما

وقال عامر بن الطفيل

فما سودتني عامر عن كلالة   ابى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكننى أحمى حماها وأتقى   أذاها وأرمى من رماها بمقنب

وهو أخص مما قبله وذكر لمزيد الاستعطاف

والعرب تقدم المولى على السيد قالت الخنساء

الذى ودادى (١) له . واعتمادى (٢) عليه . واعتدادى (٣) به . وامتدادى (٤) منه . ومن أبقاه الله ماضى (٥) حد العزم (٦) . وارى (٧) زند (٨) الامل (٩)

وان صخرا لمولانا وسيدنا　　وان صخرا اذا نشتو لنحار

ومن نعت السيد عند العرب : أن يكون لحما ، ضخم الهامة ، جهير الصوت اذا خطا أبعد ، واذا تأمل ملأ العين مهابة ، لأن من حقه أن يكون في صدر مجلس ، أو ذروة منبر ، أو منفردا في موكب . ومن الاعجاز في وصفه قولهم : يملأ العين جمالا ، والسمع مقالا .

ويقال للرجل سيد . وللمرأة سيدة قال الشاعر

أشارت الى بعنـابة　　مخضبة من دم الافئده
وقالت على العهد ياسيدى　　فقلت الى الحشر ياسيده

أما الست فعلى التأويل قال البهاء زهير

بنفسى من اسميها بستى　　فترمقنى النحاة بعين مقت
يرون بأننى قد قلت لحناً　　وكيف واننى لزهير وقتى
وقد ملكت جهاتى الست حقاً　　فلا عجب اذا ماقلت ستى

(١) محبتى (٢) اتكالى (٣) عدتى ليوم حاجتى (٤) مزيد خيرى

وقد تلاعب الشعراء بهذا النوع من البديع المسمى بالترصيع ، وهو تعداد الكلمات المتشابهة النسج معداة بحروف جر مختلفة

قال الصفدى

كتبت لمولى نأت داره　　وسينات حالى وقف عليه
فسعيى اليه سموى به　　سؤالى عنه سلامى عليه

(٥) قاطع (٦) قوة الارادة (أى لايعزم على أمر إلا امضاه) (٧) (الورى) خروج النار من الزند وقت الاقتداح (٨) مقدحة (٩) الرجاء (أى اذا رام أمراً أدركه)

ثابت [١] عهد [٢] النعمة . إن سلبتنى [٣] أعزك [٤] الله لباس [٥] نعمائك وعطلتنى [٦] من حلى [٧] إيناسك [٨] . وأظمأتنى [٩] الى برود [١٠] . اسعافك [١١] . ونفضت [١٢] بى كف حياطتك [١٣] . وغضضت [١٤] عنى طرف [١٥] حمايتك : بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلى [١٦] لك .

---

(١) متمكن متوثق (٢) ميثاق (أى نعمته ثابتة ومحفوظة عليه أبداً) قال الصولى أخذ الكتاب قولهم فى الدعاء (وأتم نعمته عليك وزادها) من قول عدى بن الرقاع

صلى الاله على امرئ ودعته وأتم نعمته عليه وزادها

افتتح رحمه الله تعالى رسالته الاستعطافية بما يشير الى مقصوده وهو استعطاف الامير وطلب الصفح منه فاستهلها بعبارة الاطناب التى تعطف القلوب القاسية وتجذب الألباب القاصية ، وتفجر ينابيع العفو من صخور الافئدة ، وكيف لا وقد جعله مولاه وسيده ، وعضده وساعده ، وأن محبته مقصورة عليه ، وأنه هو الملتجأ اليه ، وأنه يطلب من الله أن يبقيه وعزمه سيف قاطع ، وأمله نور لامع ، وخيره غيث متتابع ، وانه لحسن افتتاح وبراعة استهلال

(٣) انتزعت منى (٤) (أعزك الله) جملة اعتراضية الغرض منها الدعاء لسيده بالعزة والاشارة الى ما يستلزمه سلب اللباس من المذلة وتنبيهاً له على ذلك

(٥) ما يوارى الجسم (أى جردتنى من نعمك المحيطة بى) (٦) العطل خلو جيد المرأة من القلادة (٧) ما يتحلى به (٨) أنسك (أى حرمتنى من لذيذ أنسك)

(٩) أعطشتنى (١٠) بارد (١١) إنجادك (١٢) طرحت (١٣) احاطتك (أى طرحتنى من كف حوزك لى) (١٤) خفضت (١٥) نظر (أى خفضت طرف وقايتك عنى فتركتنى غرضا لصائبات الحوادث) (١٦) التأميل أمر معنوى لا يشاهد وانما ذلك مبالغة فى شدة التلبس والاتصاف به

وسمع الاصم ثنائى[١] عليك . وأحسن الجماد باستحمادى[٢] إليك . فلا غرو[٣] قد يغص[٤] بالماء شاربه . ويقتل الدواء المستشفى به . ويؤتى الحذر[٥] من مأمنه[٦] . وتكون منية[٧] المتمنى فى أمنيته[٨] .

---

(١) مدحى (مبالغة فى انتشار مدحه) (٢) حمدى (مبالغة فى تاثير حمده) — يشير الى تعداد ماحل به من المصائب وأحدق به من كل جانب : من تجريده من نعم الامير المحيطة به احاطة الثياب ، وحرمانه من الانس بذلك الجناب ، واعطاشه الى سريع اغاثته ، واخراجه من محيط دائرته ، وصرفه عنه نظر ملاحظته ، خصوصاً بعد أن صير تأميله فيه جسما مخترعا ، ولذا رآه الأعمى ، وحلى مدحه عما جذب به اليه الآذان فدخلها بدون استئذان ، ولذا سمعه الأصم ، وبذل قصارى جهده في حمده حتى كان مؤثرا فى كل الكائنات ، ولذا أدركه الجمادات ، وفيه من المبالغة مافي قول المتنبي

(أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى   وأسمعت كلماتى من به صمم)

وانما أكثر من تعداد مصائبه ليكون ذلك أدل على توجعه وتألمه وأسرع لتلبية ندائه وأمكن لجلب الصفاء وازالة الجفاء . وقد شاع هذا بين الشعراء قديماً وحديثاً قال الشاعر

قال لى كيف أنت قلت عليل   سهر دائم وحزن طويل

وقال الحماسى

أسجنا وقيدا واشتياقاً وغربة   ونأى حبيب أن ذا لعظيم
وان امرأ دامت مواثيق عهده   على مثل ما لاقيته لكريم

(٣) فلا غرو وأى عجب الفاء واقعة فى جواب أن من قوله ان سلبتنى (٤) غصصت بالماء أغص غصصاً إذا شرقت به وأغصصته أنا (٥) المتيقظ (٦) محل أمنه (٧) موت (٨) مايتمناه

والحين[1] قد يسبق جهد[2] الحريص .

(كل المصائب قد تمر على الفتى   وتهون غير شماتة[3] الحساد)

---

(١) الهلاك (٢) طاقة (٣) الفرح فى بلية الغير — يقول إن انتزعت منى ما أعطيت ، وأحللت بى من المصائب ما أحللت ؟ بعد غلوى فى الثناء عليك ، والتجائى فى كل الأمور اليك ، فليس ذلك بالأمر العجيب ، ولا بالنادر الغريب ، بل هو كثير النظائر والأمثال ، فالماء الذى به إزالة الغصص قد يكون هو المغص ، وان الأمنية قد تكون فيها المنية ، وأن وأن يشير في عبارته إلى قول الفرزدق

فلو كان هذا الحكم فى غير ملككم   لبؤت به أو غص بالماء شاربه

وفي هذا المعنى يقول بعضهم

من غص داوى بشرب الماء غصته   فكيف يصنع من قد غص بالماء

وقال عدى بن زيد

لو بغير الماء حلقى شرق   كنت كالغصان بالماء اعتصارى

وقال أبو فراس الحمدانى

(قد كنت عدتى التى أسطو بها   ويدى إذا اشتد الزمان وساعدى)

(فرميت منك بغير ما أملته   والمرء يشرق بالزلال البارد)

ويشير بقوله ويؤتى الحذر الخ إلى قول أمية بن أبى الصلت

(تجرى الامور على وفق القضاء وفي   طى الحوادث محبوب ومكروه)

(فربما سرنى مابت أحذره   وربما ساءنى ما بت أرجوه)

وقول أبى بكر أحمد بن على

(كم شارب عسلا فيه منيته   وكم تقلد سيفاً من به ذبحا)

وقول عدى بن زيد العبادى

(قد يدرك المبطئ من حظه   والحين قد يسبق جهد الحريص)

والبيت الذى ذكره لابن أبى عيينة من أبيات يعاتب بها ذا اليمينين

وانى لأتجلد(١) . وأرى الشامتين انى لريب(٢) الدهر لاأتضعضع(٣) فاقول هل أنا الايد أدماها(٤) سوارها(٥) . وجبين عض به إكليله(٦) ومشرفى(٧) ألصقه بالارض صاقله(٨) . وسمهرى(٩) عرضه على النار مثقفه(١٠) . وعبد ذهب به سيده مذهب الذى يقول

ومما قيل في الشماتة

إذا ما الدهر جر على أناس   كلاكله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا   سيلقى الشامتون كما لقينا

وقال أبو تمام

أجر ولكن قد نظرت فلم أجد   أجراً يفى بشماتة الاعداء

وقال آخر

لم يبق الا نفس خافت   ومقلة انسانها باهت
ومدنف تضرم أحشاؤه   بالنار الا انه ساكت
يرثى له الشامت مما به   يا ويح من يرثى له الشامت

(١) أتكلف الصبر والقوة (٢) (ريب الدهر) نوائبه (٣) أتزلزل . هذا حل بيت لأبى ذؤيب الهذلى وهو

(وتجلدى للشامتين أريهم   انى لريب الدهر لااتضعضع)

(٤) أسال دمها (٥) نوع من الحلى يلبس في الساعد

وهذا مأخوذ من قول المتنبى

بنو كعب وما أثرت فيهم   يد لم يدمها الا السوار
لها من قطعه ألم ونقص   وفيها من جلالته افتخار

(٦) تاجه (٧) سيف (٨) جاليه (٩) رمح (١٠) مقومه

وقد تلاعب الشعراء بهذا المعنى

(فقسا ليزدجروا (١) ومن يك حازماً
فليقس أحيانا على من يرحم)

قال الخفاجى

الام اذا ما ناوش الدهر جانبى وأى حسام لا يحادث بالصقل

وقال سيف الدين المشد

أنت الحسام اذا ما هاج معترك والرمح أنت اذا ما ضاقت السبل
فلا تبالى بأمر جاء عن قدر فالسيف يضرب والخطى يعتقل

وقال ابن المدبر وقد حبس

ألست ترين الخمر يظهر حسنها وبهجتها بالحبس والطين والقار
وما أنا الا كالجواد يصونه مقومه للسبق في طى مضمار

(١) يمتنعوا وهذا البيت من قصيده لأبى تمام يمدح بها مالك بن طوق

ومن قوله في هذا المعنى أيضا

يا شامتا بى إذ رأى هجر الحبيب وصده
لا تشمتن فانه مولى يؤدب عبده

وقال أبو العلاء المعرى

اضرب وليدك تأديباً على رشد ولا تقل هو طفل غير محتلم
فرب شق برأس جر منفعة وقس على شق رأس السهم والقلم

يخاطب نفسه ويسليها ، ويضرب لها الأمثال ويمنيها ، ويسهل عليها ما تعانيه ، ويحببها فيما تعاديه ، مع مزيد استعطاف قلب سيده عليه ، واستجلاب رحمته له ، اذ لم يستهجن فعله به ، وعمله معه ، فقد نزل نفسه وسيده منزلة يد الحسناء التى أجرى دمها السوار ، والجبين الذى أثر فيه تاج الافتخار ، والسيف الذى وضعه على الترب صاقله لصقله لا لهوانه ، والرمح الذى وضعه على النار مثقفة

هــذا العتب (١) محمود عواقبه . وهــذه النبوة (٢) غمرة (٣) ثم تنجلي (٤) وهــذه النكبة (٥) سحابة صيف عن قليل تقشع (٦) ☆ ولن يريبني (٧) من سيدى ان ابطا سيبه (٨) أو تأخر غير ضنين (٩) غناؤه (١٠) . فابطا الدلاء فيضا (١١) أملؤها . وأثقل السحائب مشياً

لتعديله لا لأحراقه ، والعبد الذى قسا عليه سيده رحمة به واحساناً لا استخفافا به وهو انا

(١) اللوم (٢) الجفوة (٣) شدة (٤) تنكشف (٥) المصيبة (٦) تقلع — يقول أرجو أن يكون هذا اللوم خاتمة الجفاء فاتحة الألفة والصفاء وان هذه الجفوة شدة وتحول وسحابة لاتلبث أن تزول يشير إلى قول المتنبى

(لعل عتبك محمود عواقبه ورُبما صحت الأجسام بالعلل)

وإلى المثلين العربيين غمرات ثم تنجلين . وسحابة صيف عن قليل تقشع والأول يضرب في حصول اليسر بعد العسر والثانى فى سرعة التغير وفى هذا المعنى يقول جعفر بن شمس الخلافة

هى شدة يأتى الرخاء عقيبها وأسى يبشر بالسرور العاجل
وإذا نظرت فان بؤساً زائلا للمرء خير من نعيم زائل

وقال شرف الدين الاربلى

وما السجن إلا ظل بيت سكنته أرفه في أفنائه وأنعم
فكم من طليق أوثق الذل نفسه وآخر مأسور يعز ويكرم
وقد شحذ الهندىّ وهو مطبق وقد ثقف الخطىّ وهو مقوم
وما هي إلا غمرة ثم تنجلى سريعا وإلا نبوة تتصرم

(٧) يجعلنى شاكا (٨) عطاؤه (٩) (غير ضنين) احتراس يريد به حمل سيده على العطف ودفع مايتوهم من أن التأخير للأيقاع به (١٠) نفعه (١١) الفيض صعود الماء على الضفة والمراد هنا مجرد الصعود أى أبطأ الدلاء صعوداً أكثرها امتلاء

أحفلها (١) : وأنفع الحيا (٢) ما صادف جدبا (٣) . وألذ الشراب ما أصاب غليلا (٤) ومع اليوم غد . ولكل أجل كتاب

(١) أملؤها (٢) المطر (٣) الأرض التى لانبات بها (٤) العطش بحرارة — لما ذكر أن هذا العتب محمود العاقبة وإن ماحل به عن قريب يزول ورأى أن تأخير الرحمة به وعدم إنقاذه من ورطته ربما يوهم الريبة في محمدة العاقبة دفع ذلك معتذراً عن سيده في هذا التأخير معللا له بقوله فابطأ الدلاء فيضاً أملؤها وأثقل السحائب مشياً أحفلها وغير ذلك ممايدل على أن فى التأخيرماينعم البال ويقر الأعين ثم ختم عبارته بما هو أمثل فى التسلية وأدعى للتصبر اذ يقول ومع اليوم غد ولكل أجل كتاب . يشير في عبارته إلى قول المتنبي :

(ومن الخير بطء سيبك عنى أسرع السحب في المسير الجهام)

والى قول أبى تمام

يأيها الملك النائى بغرته وجوده لمراعى جوده كثب
ليس الحجاب بمقص عنك لى أملا ان السماء ترجى حين تحتجب

والى قول الاخر

(هذا الشراب أخو الحياة وما له من لذة حتى يصيب غليلا)

وفى هذا المعنى يقول ابن حبوس

وان ألذ القرب ما قبله نوى وأحلى وصال ماتقدمه هجر

ويقول ابن القيسرانى

الفت قلاه واستطبت مطاله وأطيب ماجاء الوصال على مطل

وقال أبو هلال العسكرى

بقدر الصبابة عند المغيب تكون المسرة عند الحضور

له الحمد على اهتباله (١) ولا عتب عليه فى اغتفاله (٢) .

وأطيب ما كان برد الثغور   اذا هو صادف حر الصدور

والى المثل العربي (ان مع اليوم غداً) وهو يضرب في تنقل الدول على مر الايام وكرها

وفي هذا المعنى يقول ابن طباطبا

يا من يخاف أن يكو   ن ما يكون سرمدا
أما سمعت قولهم   ان مع اليوم غـدا

ويقول ابن أبى الجهم

صبراً فان اليوم يعقبه غد   ويد الخلافة لا تطاولها يد
ولـكل خير معقب ولربمـا   أجلى لك المـكروه عما يحمد
لا يؤيسنك من تفرج كربة   خطب رماك به الزمان الانكد
كم من عليل قد تخطاه الردى   فنجا ومات طبيبه والعود

والى الاية الشريفة (لـكل أجل كتاب) اشارة الى أن لكل شيء مدة وغاية ينتهى بانتهائها وينقضى بانقضائها

(١) اغتنامه (٢) تغافله وهو تركه على ذكر منه — بعد أن اعتذر عن سيده بما اعتذر أخذ يمدحه على ابطائه عنه ، وعلى تلبثه فيما يطلبه منه عله أن يرأف به ويعطف عليه

ومن هذا النوع قول المجنون

تطلع من نفسى اليك نوازع   عوارف أن الناس منك تصيبها
وزالت زوال الشمس عن مستقرها   فمن مخبرى بأى أرض غروبها
حلال لليلى ان تروع فؤاده   بهجر ومغفور لليلى ذنوبها

وقول البهاء زهير

ومن شغفى فيكم ووجدى اننى   أهوّن ما ألقاه وهو هوان

فان يكن الفعل الذى ساء واحدا فأفعاله اللائى سررن الوف

وأعود فأقول . ما هذا الذنب الذى لم يسعه عفوك . والجهل الذى لم يأت من ورائه حلمك . والتطاول[1] الذى لم يستغرقه تطولك[2] . والتحامل[3] الذى لم يف به احتمالك[4] ولا أخلو من أن أكون بريئا فأين عدلك . أو مسيئا فأين فضلك

إلا يكن ذنب فعدلك واسع أو كان لى ذنب ففضلك أوسع

فهبنى مسيئا كالذى قلت طالبا

قصاصا[5] فاين الاخذ ياعز[6] بالفضل

ويحسن قبح الفعل ان جاء منكم كما طاب ريح العود وهو دخان

وقول ابن منقذ

اذا أدمت قوارصكم فؤادى صبرت على أذاكم وانطويت

وجئت اليكم طلق المحيا كأنى ما سمعت ولا رأيت

والبيت الذى ذكره فى الأصل للمتنبى من قصيدة يمدح فيها أبا العشائر الحسين بن حمدان ويعاتبه

ومن هذا النوع قول بعضهم

إذا ما صديق أسا مرة وقد كان فيما مضى مجملا

ذكرت المقدم من فعله فلا ينقص الآخر الاولا

وقول الآخر

واذا المليح أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

(١) الكبر (٢) فضلك (٣) التكليف بما لايطاق (٤) الاحتمال كالحمل إلا أنه فى الامور العظيمة قال النابغة (فحملت برة واحتملت فجار) (٥) عقابا (٦) اسم

امرأة — رجع بعد أن عود نفسه في مخاطبة الامير الصبر والانتظار التفت الى بيان ما في ضميره من بقايا العتب فقال يستفهمه مريداً بذلك الزامه بالصفح عنه بتصغير ذنبه وتكبير عفو سيده . فكأنه يقول ما هذه الحركة التى زلزلت طودك وماهذه الجيفة التى عكرت بحرك ولم لا بشملنى كرمك وجودك مع أن فضلك وعدلك أكبر شفيع للعاصى والمطيع وذكر البيتين تأييداً لماقاله في نثره والأول للبحترى

وفي هذا المعنى يقول نصيّب لمولاه المهدى

تلمست هل من شافع لى فلم أجد ... سوى رحمة أعطاكها الله تشفع
لئن جلت الأجرام منى وأفظعت ... لعفوك من جرمى أجل وأوسع

ويقول اسحق الموصلى للفضل

لاشيء أحسن من ذنبي سوى أملى ... في حسن صفحك عن جرمى وعن زللى
وإن يكن ذا وذا في القدر قدعظما ... فانت أعظم من ذنبي ومن أملى

ويقول الأمام الشافعى

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت الرجا ربى لبابك سلما
تعاظمنى ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربى كان عفوك أعظما

والبيت الثانى مأخوذ من قول الحماسى

(وهبنى ظلوما نلته بمساءة ... قصاصاً فأين الأخذ ياعزبالفضل)

ومن هذا النوع قول ابراهيم السراق

هبنى يا معذبتى أسأت ... وباهجران قبلكم بدأت
فأين الفضل منك (فدتك نفسى) ... على إذا أسأت بما أسأت

وقول البحترى

أقر بما لم أجنه متفضلا ... اليك على أنى أخالك أوهما
لى الذنب معروفا وان كنت جاهلا ... وعندى لك العتبى علىّ وانعما

حنانيك (١) قد بلغ السيل الزبى (٢) ونالنى ما حسبى به وكفى وما أرانى الا لو أمرت بالسجود لآدم فابيت (٣) واستكبرت . وقال لى نوح اركب معنا فقلت سآوى (٤) الى جبل يعصمنى (٥) من الماء

ومثلك أن أبدى الجميل أعاده ... وإن بدأ المعروف عاد وتمما

وقول الآخر

فهبنى مسيئاً كالذى قلت ظالما ... فعفواً جميلا كى يكون لك الفضل

فان لم أكن للعفو منك (لسوء ما ... اتيت به) اهلا فانت له اهل

(١) تثنية حنان وهو الرحمة (٢) جمع زبية وهي حفرة تحفر لصيد الأسد فى مكان مرتفع لايعلوه الماء فاذا وصل اليه السيل كان مجحفاً يريد بذلك مزيد استرحام سيده من حيث يقول له حنانيك اى رحمة بعد رحمة اطلبها منك فان الذل والهوان قد وصلا إلى النهاية والصغار والاحتقار قد بلغا الغاية. وقوله «بلغ السيل الزبى» مثل عربى يضرب في بلوغ الشيء غايته (٣) امتنعت — ولقد أحسن كل الاحسان وتلطف ما شاء في عطف قلب سيده وطلب العفو عما اجترح من جريمته بأبلغ عبارة وأدق اشارة مبدعاً في وصف ما لاقاه من العقاب والنكال وانه لو قسم على ذوى الذنوب من الأولين والاخرين لكان كافياً لتكفير تلك الذنوب جزاء وفاقا ملمحاً الى ذوى الذنوب المشهورة ووقائع الآثام المأثورة فقال وما أرانى الخ يشير الى ذنب ابليس وهو امتناعه واستكباره عن السجود لآدم من حيث أمره الله بذلك فأبى واستكبر وكان من الكافرين وقال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين وفي ابليس يقول أبو نواس

تاه على آدم فى سجدة ... وصار قواداً لذريته

أبى السجود له من فرط نخوته ... وقد تحول فى مسلاخ قواد

(٤) سألجأ (٥) يحفظنى — يشير الى ذنب ابن نوح وهو مخالفته لابيه اذ

وأمرت ببناء صرح [1] لعلى أطلع الى إله موسى . وعكفت [2]

قال له لما عم الطوفان وصعد السفينة هو ومن آمن معه « يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين » فخالف أباه وقال سآوى الخ

(١) قصر — يشير إلى ذنب فرعون وهو إنكاره الاله وادعاؤه أنه هو الاله الحقيقى، وذلك حينما أتاه موسى عليه السلام بالايمان بالله فقال فرعون « يأيها الملأ ماعلمت لكم من إله غيرى فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحاً ... » الاية

(٢) واظبت — يشير إلى ذنب بنى اسرائيل وهو عبادة العجل وذلك أنه لما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه قام رجل صائغ من قبيلة يقال لها سامرة كانت تعبد البقر وقال لبنى اسرائيل أن الحلى الذى استعرتموه من المصريين وبقى معكم بعد غرقهم لايحل لكم فادفنوه حتى يأتى موسى ويرى رأيه فيه ففعلوا فأخذه وصاغه عجلا ووضع فيه القبضة التى أخذها من أثر حافر فرس الحياة فرس جبريل عليه السلام فصار العجل يمشى وكأنه يخور فقال لبنى اسرائيل هذا إلهكم وإله موسى نسيه وذهب ليطلبه فافتتن به كثير منهم واتبعوه

﴿ عجل بنى اسرائيل ﴾

ينحصر الكلام على هـذا العجل فى أربع مسائل — الاولى من المعنى بالرسول في قوله تعالى فقبضت قبضة من أثر الرسول الاية — الثانية ما المراد من القبضة فى الاية السابقة — الثالثة — هل انقلب التمثال لحما ودماً — الرابعة أالخوار حقيقى أم من باب التشبيه

قال بعض المفسرين أن المقصود بالرسول جبريل عليه السلام، وأن المراد بالقبضة قبضة التراب التى أخذها السامرى من أثر حافر فرس جبريل، وأن التمثال انقلب لحما ودماً، وانه خار مرة واحدة . واستدلوا بأن الجسد اسم للجسم

على العجل . واعتديت (١) فى السبت

ذى اللحم والدم ، وأن الخوار لايكون للصورة . وأن الحرق والنسف لايكونان للذهب

وقال أبو مسلم اطلاق الرسول على جبريل فى هذا المقام من غير قرينة تكليف بعلم الغيب ، وأيضاً تخصيص السامرى من بين الناس برؤية جبريل ، وبمعرفة خاصية تراب حافر دابته لايخلو عن تعسف، ولو جاز اطلاع الكفرة على تراب هذا شأنه، فلقائل أن يقول لعل موسى اطلع على شىء آخر لأجله قدر على الخوارق . فالاولى أن يراد بالرسول موسى فقد يواجه الحاضر بلفظ الغائب كما يقال ماقول الامر في كذا ويكون اطلاق الرسول منه على موسى نوعا من التهكم لانه كان كافرا به مكذبا وأراد بأثره سنته ورسمه، من قولهم فلان يقفو أثر فلان — أى عرفت أن الذى أنتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت شيئاً من سنتك فطرحتها. ويؤخذ من كلام أبى مسلم أن العجل غير حقيقى لانه لم يوضع فيه تراب الحياة ووافقه على ذلك كثير من المفسرين من حيث قالوا أن السامرى جعل ذلك العجل مجوفا ووضع فى جوفه أنابيب على وجه مخصوص ثم وضع التمثال على مهب الريح فظهر منه صوت يشبه الخوار ولذا سمى خواراً (وهو يوافق المعهود فى تاريخ المصريين) واستدلوا بقراءة على كرم الله وجهه له جؤار أى صياح. وقالوا أن الجسد غير مختص بذى الروح وأن الحرق من معانيه البرد

(١) جاوزت — يشير إلى ذنب بنى اسرائيل وهو انتهاك حرمة السبت وذلك أنهم نهوا عن الاصطياد فيه وكانت الحيتان تأتى فيه بكثرة رافعة خراطيمها حتى تغطى الماء ولا تأتى في غيره فتحيلوا بعمل حيضان متصلة بالبحر فاذا جاءت عشية الجمعة فتحوا الاتصال فتدخل الحيتان الحيضان فيأخذ وفى نهار يوم

وتعاطيت (١) فعقرت (٢) . وشربت من النهر الذى ابتلى (٣) به

الاحد ولما أمهل الله عقوبتهم استحلوا الصيد في يوم السبت فحاق بهم العذاب

قال علاء الدين الوداعى فيمن وعده بسمك

يامالكا صدق مواعيده   خلى لنا في جوده مطمعا

لم نعد في السبت فما بالنا   لم تأتنا حيتاننا شرعا

(١) تعاطى قام على أطراف أصابع رجليه ثم رفع يديه وضرب (٢) عقر البعير بالسيف فانعقر أى ضرب به قوائمه. يشير الى ذنب قدار وهو قتل ناقة صالح عليه السلام : وذلك ان امرأة يقال لها عنيزة لها مال وبنات حسان وأخرى يقال لها صدوق بنت المحيا صاحب أوثانهم كان زوجها أسلم وأنفق ماله على صالح وأتباعه وكانتا من أشد الناس عداوة لصالح، فدعت صدوق مصدعا لنفسها على قتل الناقة، ودعت عنيزة قداراً على ذلك أيضاً فذهبا وتبعهما أشقياء ثمود وكمن كل منهما في أصل صخرة ولما مرت ضربها مصدع فأصاب ساقها فشد عليها قدار بسيفه فأبان عرقوبها ثم نحرها

وقال عمارة اليمنى :

لاتعجبا لقدار ناقة صالح   فلكل عصر ناقة وقدار

(٣) اختبر — يشير الى ذنب معظم جيوش طالوت عليه السلام وهو مخالفتهم له حينما اقترحوا عليه قلة الماء فقال لهم « ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده » فخالفوا وشربوا الا قليلا منهم

وقال أبو العلاء المعرى :

سقيا لدجلة والدنيا مفرقة   حتى يعود اجتماع النجم تشتيتا

وبعدها لا أريد الشرب من نهر   كأنما أنا من أصحاب طالوتا

جيوش طالوت . وقدت الفيل لأبرهة [١] . وعاهدت[٢] قريشا على ما في الصحيفة . وتأولت [٣] في بيعة العقبة [٤] . واستنفرت الى

---

(١) كان عامل اليمن من قبل النجاشي — يشير الى ذنب ابرهة وهو ذهابه لهدم الكعبة وسبب ذلك انه بني كنيسة في صنعاء ليصرف الناس عن الكعبة فأتى رجل كناني ولوثها بالعذرة وأتى أقوام من تجار قريش وأضرموا ناراً بجانبها فهبت الريح فأحرقتها فغضب النجاشي لذلك وقام ابرهة وأخذ الفيلة ويقدمها فيل النجاشي المسمى محموداً ليهدم الكعبة ارضاء له ولما وصل اليها وجه الفيل نحوها فأبى فوجهه الى اليمن فقام مهرولا وبعد ذلك أرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل (٢) أعطيتهم عهدا وميثاقا — يشير الى ذنب قريش وهو اتحادهم على عدم نصر الدين وذلك انهم لما رأوا ان الدين أخذ في النمو وان حمزة وعمر أسلما تعاقدوا على مهاجرة بني هاشم وبني عبد المطلب وعلى قطع العلائق بينهم تماما وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة تأكيدا لذلك (٣) خالفت (٤) طريق وعر في الجبل — يشير الى ذنب من نقض بيعة العقبة وبيعات العقبة ثلاث ولم يتأول فيها أحد فذكره لها على سبيل الفرض أي هب اني خالفت الاجماع وتعديت الحد وفعلت مالم يفعله أحد

(٣) استنفرت استنصرت (العير) بالكسر الابل التى تحمل الميرة — يشير الى ذنب ضمضم الغفارى وهو استنهاض قريش لأبي سفيان وذلك أن أبا سفيان كان آتياً من الشام في عير فذهب عليه السلام لقتاله فشعر بذلك أبو سفيان فاستأجر ضمضما المذكور ليخبر قريشاً فذهب وصرخ ببطن الوادى واقفاً على جمل قد جدعه وحول رحله وشق قميصه قائلا يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث فتجهزوا جميعاً وذهبوا اليه وحصلت الواقعة الشهيرة المسماة بغزوة

العير ببدر . وانخذلت [1] بثلث الناس يوم أحد [2] . وتخلفت [3] عن صلاة العصر في بني قريظة [4] وجئت بالإفك [5] على عائشة الصديقية . وأنفت [6] من إمارة اسامة .

بدر الكبرى وفيها انتصر النبي عليه السلام انتصاراً باهرا وكان ذلك يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان سنة اثنتين من الهجرة (١) (خذله) ترك عونه ونصرته (٢) (أحد) جبل بالمدينة — يشير الى ذنب أبي بن سلول رأس المنافقين وهو رجوعه من الجيش هو ومن معه من المنافقين وذلك ان النبي عليه السلام لما خرج الى أحد ومعه ألف من أصحابه لقتال أعدائه كان من رأى أبي ان يمكث النبي في المدينة فأبى عليه السلام قبول رأيه موافقاً لمعظم الصحابة فرجع هو ومن معه من المنافقين وقال أطاعهم وعصاني (٣) تأخرت

(٤) طائفة من اليهود — يشير الى حادثة بني قريظة وذلك أنه عليه السلام بعد رجوعه من غزوة الخندق قال من كان سميعاً مطيعاً فليصل العصر في بني قريظة فبعض الصحابة أخذ بظاهر الحديث وصلى العصر هناك بعد مغيب الشمس والبعض الاخر رأى أن المقصود الاسراع فصلى في الطريق

ولما اختلف الفريقان في تعيين المصيب ترافعا اليه عليه السلام فحكم بأصابتهما واذاً تكون عبارته كناية عن فداحة التخلف عن الذهاب (٥) الكذب — يشير الى ذنب مسطح وحسان ومن معهما من مجاهرتهم بالسوء لزوجه عليه السلام وذلك أنه لما ذهب عليه السلام إلى غزوة بني المصطلق كانت معه السيدة عائشة حيث كانت قرعتها ففي العودة ذهبت السيدة لقضاء حاجتها ففاتها الركب ولم ينظروا في هودجها فمر صفوان وكان قد تأخر لأمر ما فاركبها بعيره وقاده فأشاع هؤلاء ما أشاعوا فبرأها الله تعالى بالآيات البينات (٦) استنكفت — يشير إلى بعض الصحابة حيث أنفوا من إماره أسامة بن حارثة عليهم وذلك أن النبي عليه السلام

وزعمت أن خلافة أبي بكر كانت فلتة (١) . ورويت رمحى من كتيبة (٢) خالد . ومزقت (٣) الأديم (٤) الذى باركت يد الله عليه .

جهز له جيشا ليذهب به إلى الشام وقال له سر إلى مقتل أبيك فتكلم قوم وقالوا أيؤمر هذا الغلام على المهاجرين الأولين فغضب عليه السلام لذلك وخرج في مرضه عاصبا رأسه وصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وقال مامعناه لئن طعنتم في أسامة فقد طعنتم فى أبيه من قبل وأنه لأهل لها فاستوصوا بهخيراً (١) أى من غير أحكام ولا روية — يشير إلى ذنب الشيعة وهو اعتقادهم أن عليا هو الأحق بالخلافة ومن سواه غاصب ويقولون ماتقدم وفي حديث عمر (أن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها) فقيل المراد بالفلتة الخلسة أى أن الأمامة يوم السقيفة مالت الأنفس إلى توليها وكثر فيها التشاجر فانتزعها واختلسها أبو بكر اختلاساً ومثل هذه البيعة مهيجة للشر والفتنة فعصم الله تعالى من ذلك ووقى

(٢) جيش — يشير إلى ذنب أبي شجرة السلمى وهو فتكه بجيش خالد فى حرب الردة ويشير إلى قوله فى ذلك

(ورويت رمحى من كتيبة خالد وإنى لأرجو بعدها أن أعمرا)

(٣) قطعت (٤) الجلد. يشير إلى ذنب أبي لؤلؤة وهو قتل عمر عليه السلام وذلك أن أبا لؤلؤة طلب منه أن يخفف عنه جعل سيده فقال له أنه ليس بكثير وانك لصانع مجيد، وأريد أن تصنع لى رحى فقال سأصنع لك رحا يسمع دويها أهل المشرق والمغرب وكمن له حتى طعنه فى صلاة الصبح ومات بسبب ذلك ،ويشير إلى ماقاله بعضهم في رثاه

(جزى الله خيراً من إمام وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزق)

وقال علاء الدين الوداعى

قدقلت لما مربى مقرطق يحكى القمر
هذا أبو لؤلؤة منه خذوا ثار عمر

وضحيت بأشمط (١) عنوان السجود به . وبذلت لقطام (٢)
(ثلاثة آلاف وعبد وقينة (٣) وضرب عليّ بالحسام المسمم)
وكتبت الى عمر بن سعد أن جعجع (٤) بالحسين .

---

(١) مختلط شعر الرأس والشمط محركة بياض الشعر يخالطه سواد — يشير الى ذنب بعضهم وهو قتل عثمان عليه السلام وذلك انه وفد عليه كثير من الجهات يشكون عماله فأرضاهم وأرسل محمد بن أبي بكر والياً على مصر فبينما هو ذاهب اذ رأى عبدا على هجين يستحثه فأحضره وفتشه فوجد معه كتاباً من الخليفة الى عامل مصر يقول فيه اذا أتاك محمد ومن معه فتحيل فى قتلهم فرجع محمد وأعطى الجواب للخليفة فأقر بأنه خط كاتبه وهذا ختمه وعبده وهجينه وانه لم يرسله فطلب منه أحد أمرين: الاعتزال أو اعطاء كاتبه الحكم، فأبى فحصلت الفتنة وحاصروه الى أن قتل، ويشير الى ما قاله حسان بن ثابت فى رثائه

(ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا)

(٢) اسم امرأة (٣) جارية — يشير بذلك الى ذنب ابن ملجم وهو قتل على عليه السلام وذلك أن هذه المرأة أعجبته لنضارتها فأراد أن يتزوجها فطلبت منه ما في البيت فقال لها لك ما طلبت وقال البيت وبعده

(فلا مهر أغلى من على وإن علا ولا فتك الادون فتك ابن ملجم)

وقال البحترى

ولا عجب للأسد ان ظفرت بها كلاب الأعادى من فصيح وأعجم
فحربة وحشى سقت حمزة الردى وموت على من حسام ابن ملجم

(٤) ضيق — يشير الى ذنب عبيد الله بن زياد وهو تحريضه على قتل الحسين وذلك أنه أبى مبايعة يزيد وأراد الذهاب الى الكوفة من حيث أنهم طلبوا مبايعته فأخبر يزيد عامله هناك عبيد الله بن زياد بذلك فأرسل لقتاله عمر بن سعد

وتمثلت عند مابلغني من وقعة الحرة (١).

(ليت أشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الاسل)

ورجمت (٢) الكعبة . وصلبت العائذ (٣) على الثنية (٤) ، لكان فماجرى على (٥) مايحتمل أن يكون نكالا (٦) . ويدعى ولو على المجاز عقابا .

ولما أبطأ جهز له شمرا وكتب عبيد الله ماتقدم فانتشبت الحرب بينهما وانتهت بقتله عليه السلام (١) أرض بظاهر المدينة كانت بها الواقعة بين عقبة بن مسلم وأهل المدينة — يشير الى ذنب يزيد وهو تشفيه من أهل المدينة وذلك أنه أرسل عقبة بن مسلم الى محاربة أهل المدينة واباحتها ثلاثة أيام فقتل وأسرف وأباح فلما بلغ يزيد ذلك قال بيت ابن الزبعرى المذكورمظهرا للضمير المستتر وهو كراهة الأنصار والمهاجرين (٢) رميت بالحجارة (٣) الملتجئ

(٤) طريق العقبة — يشير الى ذنب الحجاج وهو رجمه الكعبة وصلبه عبدالله ابن الزبير وذلك انه لما حار به التجأ عبد الله وأصحابه الى الكعبة فنصب الحجاج المنجنيق عليها ورجمها وبعد ما انتصر عليه صلبه منكساً وآلى أن لاينزله الا اذا شفعت أمه فيهفبعد سنة مرت أمه وقالت أما آن لهذا الفارس أن يترجل فاعتبر قولها شفاعة وأنزله . ومن قولها لابنها في يوم مقتله : يا بني لا تقبلن منهم خطة تخاف منها على نفسك الذل مخافة القتل،فوالله لضربه بالسيف في عز خير من ضربة بالسوط فيمذلة ، فقال لها انما أخاف المثلة، قالت يابني ان الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها

(٥) حصل لي (٦) عذابا — يريد أني لو أتيت بهذه الذنوب كلها لكان ما حصل لي من التعذيب والاهانة والذل والاستكانة كافياً لتمحيص هذه الذنوب . وكيف لا وقد صرت في حالة يرثي لها العدو والحبيب والبعيد والقريب وذلك

(وحسبك من حادث بامرئ ... ترى حاسديه له راحمينا)

فكيف ولا ذنب الا نميمة (١) أهداها كاشح (٢). ونبأ (٣) جاء به فاسق. وهم الهمازون (٤) المشاءون (٥) بنميم. والواشون (٦) الذين لايلبثون (٧) أن يصدعوا (٨) العصا. والغواة (٩) الذين لا يتركون أديما (١٠) صحيحا. والسعاة (١١) الذين ذكرهم الاحنف بن قيس فقال ما ظنك بقوم الصدق محمود الا منهم.

أدل على طلب الرحمة وأحكم في الاستعطاف. والبيت الذى ذكره للعتبي وقد اختصر المتنبي ما فصله ابن زيدون فقال

وان كان ذنبي كل ذنب فانه ... محا الذنب كل المحو من جاء تائباً

(١) نقل الكلام للافساد (٢) مضمر العداوة (أهداها كاشح) كناية عن حسن سبك هذه النميمة وانه معتنى بها كما يعتنى بالهدية للأمير (٣) خبر

(٤) المغتابون (٥) النمامون (٦) الذين يزينون الحديث للافساد

(٧) لبث بالمكان أقام به (٨) يشقوا (٩) المضلون (١٠) جلدا

(١١) المفسدون — يريد بذلك أنه بنى الاهانة والابعاد والصد والاعراض على أوهن الأسباب وأضعفها وهو سعي النمام وخبر الفاسق وتزيين الغواة والذين يشقون عصا الالفة ويمزقون أعراض الناس ويلمح فى عبارته الى قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » الآية والى قول كثير عزة

ولا يلبث الواشون أن يصدعوا العصا ... اذا هي لم يصلب على البرى عودها

والى قول الاخر

ولا تفش سرك الا اليك ... فأن لكل نصيح نصيحا

(حلفت فلم أترك لنفسك ريبة[١] وليس وراء الله للمرء مذهب)

والله ماغششتك بعد النصيحة . ولا انحرفت[٢] عنك بعد الصاغية[٣] اليك . ولا نصبت[٤] لك بعد التشيع فيك . ولا أزمعت[٥] يأساً منك. مع ضمان تكافت به الثقة عنك . وعهد أخذه حسن الظن عليك . ففيم عبث[٦] الجفاء بأذمتي[٧]. وعاث[٨] العقوق[٩] في مواتي[١٠] وتمكن الضياع[١١]

(فاني رايت غواة الرجا ل لايتركون اديما صحيحا)

(١) شبهة — يريد حلفت فلم اترك شبهة في نفسك من براءتي وليس بعد الله من يصدق القسم به حتى اقسم به واذهب اليه . والبيت للنابغة الذبياني من اعتذارياته للنعمان (٢) ملت (٣) الاصغاء (٤) الناصبي فى العرف من كان عدوا لعلى وهو ضد الشيعي (٥) خفت — يقول أقسم بالله أني مقيم على النصح لك ثابت على الميل اليك ولم اتخذ مذهب الناصبية مذهبا ولم يستفزني اليأس منك وتلعب بي أيدي الأهواء فان ثقتي بك وحسن ظني فيك قد ضمنا لي أن أطرد اليأس بالرجاء في عفوك . وهذا الكلام من الاستقصاء البديعي بمكان فانه استوفى جميع عوارض المحبة بحيث لم يبق لقائل قول لو ولا ليت استجلابا للرحمة وطلبا للعفو ومن هذا النوع

وحديثها السحر الحلال لوانه لم يجن قتل المسلم المتحرز
ان طال لم يملل وان هي أوجزت ود المحدث انها لم توجز
شرك العقول ونهزة مامثلها للمطمئن وعقلة المستوفز

(٦) لعب (٧) حرماتي (٨) أفسد (٩) ضد البر (١٠) وسائلي (١١) الهلاك

من وسائلى (١) . ولم ضاقت مذاهبى (٢) . وأكدت (٣) مطالبى . وعلام رضيت من المركب (٤) بالتعليق (٥) . بل من الغنيمة بالاياب (٦) . وأنى غلبنى المغلب (٧) . وفجر (٨) على العاجز الضعيف ولطمتنى (٩) غير ذات سوار . ومالك لم تمنع من قبل ان افترس . وتدركنى ولما أمزق (١٠) أم كيف لا تتضرم (١١) جوانح (١٢)

---

(١) ما أتقرب به (٢) طرقى (٣) ردت (٤) الركوب (٥) المراد تعليق الأمتعة (٦) الرجوع (٧) المغلوب مرارا (٨) اجترأ (٩) ضربتنى على وجهى براحتها (١٠) اقطع — يستفهم عن سبب افساد الجفاء والعقوق لما قدمه من وسائل الرضا حتى ضاقت عليه المذاهب وامتنعت عليه المطالب وحتى رضى من عظيم الأمر بصغيره ومن الغنيمة بالرجوع سالما واجترأ عليه كل ضعيف وغلبه من كان له غلابا وظلمه من لم يكن له كفؤا . وقد ضمن عبارته من الأمثال ما هو كالسحر الحلال . أولها : ارض من المركب بالتعليق يضرب فى القناعة بادراك بعض الحاجة . وثانيها : رضيت من الغنيمة بالاياب ، يضرب في القناعة بالسلامة . والأول مأخوذ من قول امرئ القيس

(لقد طوفت في الافاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب)

وثالثها ورابعها مأخوذان من قوله أيضاً

(فانه لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب)

وقد صحفه ابن زيدون وهو تصحيف حسن . وخامسها (لو ذات سوار لطمتنى) قاله حاتم حينما لطمته جارية وكانت العادة لبس السوار للحرة . والثلاثة تضرب عند العجز والذلة . ويشير الى قول المثقب العبدى

(فان كنت مأكولا فكن خيرا كل والا فأدركنى ولما أمزق)

وفي هذا الاستفهام تحضيض له على انجاده وسرعة انقاذه (١١) تتقد (١٢) اضلاع

الاكفاء[١] حسداً لى على الخصوص بك . وتنقطع أنفاس[٢] النظراء[٣] منافسة[٤] لى على الكرامة فيك، وقد زانني اسم خدمتك، وزهاني[٥] وسم[٦] نعمتك، وأبليت[٧] البلاء الجميل فى سماطك[٨]، وقمت المقام المحمود على بساطك

(ألست الموالى[٩] فيك غر قصائد
هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما)
ثناء يظن الروض منه منورا
ضحى ويخال الوشى[١٠] فيه منمنما[١١]

---

(١) الأمثال (٢) جمع نفس (٣) جمع نظير (٤) رغبة شديدة مع المبارات لغيرك (٥) (الزهو) الكبر (٦) علامة (٧) جربت (٨) (السمط) الصف من الناس (٩) المتابع (١٠) ضرب من الحرير ذو ألوان (١١) ثوب موشى بألوان فيها البياض — لقد أتى ابن زيدون من كلام السحر وسحر الكلام بما يكبو دونه قلم البليغ من الاعتراف لسيده بأنه قد أوقد النار في قلوب الحساد والنظراء بتعهده له بالانعام وصلته بالصلات حتى أنطق لسانه فيه بالمدائح التى طلعت مع الليل أنجما والثناء الذى أزهرت به الرياض ووشيت به حلل الفضل . والبيتان من قصيدة للبحترى يعاتب بها الفتح بن خاقان ومطلعها

(يهون عليها أن أبيت متيما أكابد وجداً في الضمير مكتما)

وفي هذه المعانى يقول بعض الشعراء

إن يحسدونى فانى غير لائمهم قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
أنا الذى وجدونى في حلوقهم لا أرتقى صدراً منهم ولا أرد

وهل لبس الصباح الا بردا (١) طرزته (٢) بفضائلك ،
وتقلدت (٣) الجوزاء (٤) الا عقدا فصلته (٥) بمآثرك

ويقول صفى الدين الحلى

مولاى دعوة عبد غير مفتتن | لشعره وله الحساد قد شهدوا
قد صنت شعرى وكل الناس تخطبه | وذاك لولاك لم يعبأ به أحد
بك انتصرت على الأيام منتصفاً | وصار لى فوق أيدى الحادثات يد
وكيف تعجز كفى ان أنال بها | هام السماء وأنت الباع والعضد

ويقول أبو فراس

وانك للمولى الذى بك أقتدى | وانك للنجم الذى بك أهتدى
وأنت الذى بلغتنى كل رتبه | مشيت اليها فوق أعناق حسدى
فياملبسى النعمى التى جل قدرها | لقد أخلقت تلك الثياب فجدد

ويقول أيضاً

ألبستنى نعما على نعم | ورفعت لى علما على علم
وعلوت بى حتى مشيت على | بسط من الأعناق واللمم

ويقول أبو سعيد الرستمى :

وما كنت لولا طيب ذكرك شاعرا | ولا منشدا بين السماطين في حفل
ولكننى أقضى به حق نعمة | سرت مثلا لما وسمت به عقلى

ويقول أبو تمام :

واى قصيدة لى فيك تأبى | وتأنف أن أهان وان اذالا
من السحر الحلال لمعتفيه | ولم أر قبلها سحرا حلالا

(١) رداء (٢) علمته (٣) لبست (٤) برج (٥) تفصيل العقد جعل خرزة بين كل لؤلؤتين

واستملى (١) الربيع الاثناء أملاأته في محاسنك . وبث (٢) المسك الا حديثاً أذعته (٣) في محامدك . مايوم حليمة بسر .

(١) طلب الأملاء (٢) نشر (٣) اشعته — جرت عادة البلغاء ان يستعيرو للمسموع من المدح والثناء مايزيد القول حلاوة ويكسبه طلاوة من أشياء تدرك بحاستي السمع والبصر . قال محمد بن غالب

اجرى حديثك ثم اعجب انه   قول يقال وعرفه مشموم
فبكل ارض من ثنائك شائع   عبق كما ريح الرياض نسيم
يسري فلا يخفى على مستنشق   ولوانه عن أذنه مكتوم
يطوى فينتشر الثناء بطيه   ذكر الكريم بعنبر مختوم

والمعنى ان فضائلك التي نشرتها في مدائحي ظهرت للعين ظهور الصباح حتى انه لم يضيء الا بسببها . وان عقد الجوزاء لم يحسن في مرأى العين الا لكوني فصلته بمحامدك ، وكذلك الربيع لم تتضوع الأزهار بنشرها فيه الا لكونه استملى مني الثناء المملوء بمحاسنك ثم أثبت ان ماتقدم حقائق ثابتة بقوله : (مايوم حليمة بسر) وهو مثل عربي يضرب في فشو الأمر وانتشاره

وفي هذه المعاني يقول ابن عنين

نهدي اليك من الثناء ملابساً   تضفو وتصفو من قذى الأطماع
مصقولة الالفاظ يلقاها الفتى   من كل جارحة بسمع واعي

ويقول الشبلي

وجدت معاليك أصلا لشعري   وهل ينظم الدر لولا الصباح
لك الفضل إن طاب شكري ونشري   بطيب الرياض تطيب الرياح

ويقول ابن المعلم

ولم تك إلا عاطلا فكسوته   حلى بيواقيت العلاء ترصع

وان كنت لم أكسك سليبا (١) . ولا حليتك عطلا . ولا وسمتك غفلا (٢) . بل وجدت آجرًا (٣) وجصا (٤) فبنيت . ومكان القول ذا سعة فقلت .

كذاك اكتسى من نشرك الشعر نفحة ... وها هي فى أعطافه تتضوع

ويقول عمارة اليمنى

وأين الثياب المذهبات قشيبة ... ولى مذهبات فيك ليست بأسمالى

ستبلى على قرب جديد فعالكم ... وتبقى على مر الجديدين أقوالى

وتعطيل جيدى من حلى نداكم ... وجيد معاليكم بها أبدا حالى

(١) مسلوباً عاريا (٢) عادم العلامة (٣) الطين المحرق (٤) الجير — أراد دفع ما يتوهم من أنه يتفضل عليه بأذاعة المحاسن ونشر المدائح وأنه اخترع له هذه السجايا والخلال . حيث يقول له أنى لم أمدحك إلا بما هو فيك من خصائص الخصال وجميل الخلال وانما أنا صغتها في القالب الذى يلفت الأنظار ويجلو صدأ الأفكار

وفى هذه المعانى قال ابن حيوس

(وهل للذى يأتى إلى الوصف حاجة ... وأخباره فى الشرق والغرب أشهر)

(ولكنه بالشعر يزداد بهجة ... كما ازداد حسن الروض وهو منور)

وقال الخفاجى

(ولى فيك من غر القوافي قصائد ... تقبل أفواه الرواة لها رشفا)

(وما أدعى در الكلام لانه ... صفاتك الا انني احسن الوصفا)

وقال المتنبي

(وقد وجدت مكان القول ذا سعة ... فان وجدت لسانا قائلا فقل)

وقال الغزى

ولما جال في علياك فكرى ... وجدت القول متسع المجال

حاشى[1] لك أن أعد من العاملة الناصبة [2]. وأكون كالذبالة[3] المنصوبة. تضيء للناس وهي تحترق. (فلك المثل الاعلى[4]). وهو بك وبى فيك أولى

وما يفنى المديح وصار لفظى · به اجرى من الماء الزلال

وقال ابن قلاقس

(ومنك وفيك تنتظم القوافي · ومن وجد المقال الرحب قالا

وقال ابن الحدادالمغرى

ومنك اخذنا القول فيك جلالة · وما طاب ماء الورد إلا من الورد

(١) تنزيهاً لك (٢) من النصب وهو التعب (٣) الفتيلة (٤) الصفةالعليا ـ بعد أن عمل جهد المستطيع فى الثناء عليه أراد أن يستميله بلطف ليجعل لعمله فائدة ونتيجة، فنزهه عن أن يجعل مثله معه كمثل الـكفار حيث عملوا وتعبوا في الدنيا فيما لم يعد عليهم منه فائدة في الآخرى، ويشير إلى قوله تعالى « وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية الآية » وإلى قول العباس بن الاحنف

(صرت كأنى ذبالة نصبت · تضيء للناس وهي تحترق)

ومن هذا النوع قول أبي الحسين الجزار

أحمل قلبى كل يوم وليلة · هموما على من لا أفوز بخيره

كما سود القصار فى الشمس وجهه · حريصاً على تبييض ثوب لغيره

وقول الاخر

وفتيلة المصباح تحرق نفسها · وتضيء للسارى وأنت كذاك

وبالغ في التلطف بقوله فلك المثل الاعلى والصفة العليامن التجاوز والصفح وأنت أولى من صفح عن زلة المسيء. وأنا أولى من ادخرت مودته بالصفح عنه وأما قوله وهو بك الخ فكأنه يقول هو بك أولى وهوبى كذلك إذا كان فيك فـكلا الحالين مخصوص بك. وما ألطف ما ينسب إلى الأمام الشافعي رضى الله تعالى عنه في الأمام أحمد بن حنبل

ولعمرك (١) ما جهلت ان (صريح الرأى) (٢) أن أتحول . اذا بلغتنى الشمس و نبا بى المنزل (٣) . وأصفح (٤) عن المطامع التى تقطع أعناق الرجال فلا استوطئ العجز (٥) . ولا أطمئن (٦) الى الغرور (٧)

ومن الامثال المضروبة : خامرى (٨) أم عامر (٩) .

(قالوا يزورك أحمد وتزوره   قلت الفضائل لاتفارق منزله)
(إن زرته فلفضله أو زارنى   فبفضله فالفضل فى الحالين له)

وقال الوزير أبو حفص

لك المثل الأعلى إذا ذكر الندى   ودع هرما فيما سمعت وحاتما

وقال ابن عمار

لك المثل الأعلى وما أنا حادث   ولا أنا ممن غيرته الحوادث
أظن الذى بينى وبينك غيرت   حلاوته عنى الرجال الأخابث

(١) حياتك (٢) سديده (٣) نبابىالمنزل لم يوافقنى (٤) أعرض (٥) استوطئ العجز أى أجده ليناًسهلا (٦) أميل (٧) مايغتربهمن متاع الدنيا (٨) استترى (٩) كنية الضبع ــ يقسم بحياة سيده انه ما جهل أن سديد الرأى وجوب التحول عن مقام الأهانة متى شعر بلحاقها به كما أنه لم يجهل أن الطمع مورد الهلكة وذريعة الخذلان ومقطع اعناق الرجال وانه كان عليه ان يرحل ولا يستسهل العجزولايميل إلى الغرور ولكن خابت آماله وانعكست أحواله فكان الغرور نصيبه والأمل قائده فاغتر كما اغترت الضبع بقول القائل: خامرى أم عامر . يشير إلى قول ابى تمام

(وان صريح الرأى والحزم يامرئ   إذا بلغته الشمس ان يتحولا)

واني مع المعرفة بأن الجلاء (١) . سباء (٢) . والنقله (٣) . مثله (٤)

ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى مصارع مظلوم مجرا ومسحبا
وتدفن منه الصالحات وان يسئ يكن ما أساء النار في رأس كبكبا (٥)

وقول عنترة

(احذر محل السوء لاتحلل به وإذا نبا بك منزل متحول)

وقول معن

وفي الناس إن رثت حبالك واصل وفي الأرض عن دار القلى فتحول

وقول الآخر

إذا كنت في دار يسوءك أهلها ولم تك مكبولا بها تتحول

وقول المجاشعي

(طمعت بليلى ان تريغ وانما تقطع اعناق الرجال المطامع)

وقال أبو العتاهية

تعالى الله ياسلم بن عمر أذل الحرص أعناق الرجال

وقال الأصمعي سمعت أعرابيا يقول

ان الآمال ، قطعت أعناق الرجال ،: كالسراب غر من رآه ، وأخلف من رجاه

وإلى المثل العربي (العجز وطيء) يضرب لمن استلان فراش العجز وقعد عن طلب المكاسب وقوله خامري الخ مثل يضرب لمن عرف الدنيا وتقلباتها ثم يميل اليها ويغتر بها

وما أحسن قول البهاء زهير

ياهذه لا تغالطي والله مالي فيك خاطر
خدعوك بالقول المحا ل فصح انك ام عامر

(١) الخروج عن الوطن (٢) اسر (٣) الانتقال (٤) تنكيل (٥) جبل

عارف أن الأدب الوطن لا يخشى فراقه . والخليط [١] لا يتوقع زياله [٢]. والنسيب [٣] لا يخفى . والجمال لا يجفى [٤].*

ثم ماقران [٥] السعد بالكواكب أبهى أثراً . ولا أسني خطراً [٦] من اقتران غنى النفس به . وانتظامهما نسقا [٧] معه . فان الحائز [٨] لهما الضارب بسهم فيهما وقليل ماهم [٩] أينما توجه ورد منهل [١٠] بر .

---

(١) المخالط (٢) مفارقته (٣) ذو النسب (٤) لايهجر — بعد ان بين لسيده انه لايجهل ان الصواب التحول أراد أن يبين له انه يعرف أيضاً ان الانتقال فيه التمثيل والنكال، وأن الغربه، كربه، والنوى، توى، وان حسنات الغريب مهجورة وسيئاته منشورة فقال واني مع معرفتي بأن خروجي من وطني أسر لي ودفن لمحاسني وانتقالي منه الى غيره مع عدم معرفة اهل هذه الجهات بما انا متحل به من العلوم والآداب تنكيل بمحاسني وتضييع لبهجتي فيجهل قدري وتهضم حقوقي وتدفن مني الصالحات وتشاع على قلتها السيئات ، لاأعد ذلك البناء هو الوطن الحقيقي بل وطني الذي اعول عليه انما هو الادب وهو ملازم لي أينما حللت وارتحلت فلا أخشى فراقه وهو سميري الملازم لي فلا أتوقع غيابه وان النسيب أينما حل فهو معروف والجمال أينما وجد فهو مألوف وحيث هو كذلك فلا يخشى من الانتقال بأسا ولا من التحول ضيما . والبيتان للاعشى (والنقله مثله) مثل مولد (٥) مصاحبة (٦) قدراً

(٧) النسق من الكلام وغيره ماجاء على نظام واحد (٨) الجامع

(٩) (قليل ماهم) يريد بذلك التعريض لسيده بأنه لانظير له في أخلاقه وآدابه

(١٠) عين

وحط في جناب(١) قبول . وضوحك قبل انزال رحله . وأعطى حكم الصبيّ على أهله .

---

(١) ناحية — بعد ان بين ان الأدب كبير النفع عظيم الفائدة حتى جعله وطناً في الغربة وفرجة عند الكربة بين انه يكون أكبر نفعا وأعظم جدوى إذا صاحبه غنى النفس فان المتحلى بحلاهما . القابض على زمامهما أينما يمم فالسعد قرينه . والناس اهله يقبلون عليه من كل جانب ويعظمونه كل التعظيم لأول وهلة ومجرد نظرة ويعطونه حكم الصبي على اهله يفعل مايريد كالسيد بالعبيد . ويقولون له لقيت اهلا ونزلت مكانا سهلا واسعا رحباً فأنس ولا تستوحش وكن كما تحب وتختار فانت رب الدار . وقوله ماقران السعد الخ اخذه من قول البستي

(واتم الأشياء نوراً وحسناً بكر شكر زفت الى صهر بر)
(ماقران السعدين بالحوت ابهى منظرا من قران بر وشكر)

ويشير الى قوله المتنبي

(اذا صديق نكرت جانبه لم يعيني في فراقه الحيل)
(في سعة الخافقين مضطرب وفي بلاد من أختها بدل)

والى قول حاتم الطائي

(اضاحك ضيفي قبل انزال رحله فيخصب عندى والمحل جديب)
(وماالخصب للاضياف ان يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب)

وقوله اعطى حكم الصبي الخ . عبارة كانت تقولها العرب في مدح من نزلوا عنده واكرمهم اكراما تاما

قال ابو نواس

ويصبح الضيف اولانا بمنزلنا نرضى بذاك ونمضى حكمه فينا

(وقيل له أهلا وسهلا ومرحباً ☆ فهذا مبيت صالح ومقيل)

غير أن الوطن محبوب . والمنشأ مألوف . واللبيب يحن الى وطنه حنين النجيب(١) الى عطنه(٢) . والكريم لا يجفو أرضاً بها قوابله(٣) ولا ينسى بلدا فيها مراضعه . قال الأول

(أحب بلاد الله ما بين منعج(٤) ☆ الى وسلمى أن يصوب سحابها)

(بلاد بها حل الشباب تمائمي(٥) ☆ وأول أرض مس جلدى ترابها)

وأصل البيت الذى ذكره

(فقلت له اهلا وسهلا ومرحباً فهذا مبيت صالح وصديق)

(١) النجيب من الابل الفحل الكريم (٢) مبرك الابل حول الماء (٣) جمع قابلة وهي ماتتلقى المولود عند خروجه (٤) اسم مكان (٥) جمع تميمة وهي مايعلق للطفل حفظا له — بعد ان بين له ان سديد الرأى الانتقال وانه لايخاف عاقبة ذلك لأدبه وغنى نفسه اراد أن يبين له السبب الحامل على المكث فقال ان الوطن محبوب والمنشأ مألوف و

(مامن غريب وان أبدى تجلده الا سيذكر عند الغربة الوطنا)

ولا غرو فهو اول ارض وجد بها واول تربة تضمخ بها جسده واول بقعة نما فيها فكرة واول جهة قضى فيها الشباب ما ربه مع اخوان وأحباب وخلان واتراب فاذا تذكر هذه الجهات تخيل له رغد العيش وحسن الحال ورأى أغصان شبابه تميد على تلك الأوطان وتمايل مع النسيم تمايل البان فيحن اليها حنين الغريب الى وطنه وانه ليس من كرم الأصل وشرف المحتد ان يهجر الانسان قوابله ومراضعه لما لهن عليه من الخير العميم والفضل الجسيم في اثناء الصغر فالواجب عليه ان يصلهن فى ابان الكبر حتى يجنين ثمرات اتعابهن ويسررن بحسن معاملته لهن والبيتان لبعض الاعراب

هذا الى مغالاتى(١) بعقد جوارك . ومنافستى(٢) بلحظة من قربك . واعتقادى أن الطمع . فى غيرك طبع(٣) والغنى ممن سواك عناء . والبدل منك أعور . والعوض لفاء(٤) . وكل الصيد فى جوف الفرا(٥)

(واذا نظرت الى أميرى زادنى ☆ ضنا به نظرى الى الأمراء)

وفى كل شجر نار . واستمجد المرخ والعفار (٦)

وقال ابن الرومى

ولى وطن آليت الا ابيعه　　والاارى غيرى له الدهر مالكا
قضيت به شرخ الشباب منعما　　كنعمة قوم أصبحوا فى ظلالكا
وحبب أوطان الرجال اليهم　　مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم　　عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا
فقد الفته النفس حتى كانه　　لها جسد إن بان غودر هالكا

وقال أيضاً

بلد صحبت به الشبيبة والصبا　　ولبست ثوب العيش وهو جديد
فاذا تمثل في الضمير رايته　　وعليه أغصان الشباب تميد

(١) مجاوزتى الحد (٢) رغبتى فيك على وجه المباراة (٣) دنس
(٤) خسيس (٥) حمار الوحش (٦) نوعان من الشجر سريعا الورى

بعد ان بين محبة الوطن وألفة المنشأ وسبب ذلك الطبعى أراد ان يبين للأمير ان ذلك ليس هو السبب الفذ الحامل لى على المكث بل انضم اليه ماهو أشد منه تأثيرا وأعظم خطرا الا وهو شدة محبتى لجوارك وحظوتى بقربك وانت اكرم من حفظ للجوار حرمته وأوضح محجته واعتقادى بأن الطمأنينة الى غيرك غرور والثقة بخلافك خذلان وعدم رضائى بسواك بدلا

فما هذه البراءة ممن يتولاك(١) . والميل عمن لا يميل عنك . وهلا(٢) كان هواك(٣) . فيمن هواه فيك . ورضاك . فيمن رضاه لك .

ولا بغيرك عوضا وكيف استعيض السمين بالغث والتعب بالراحة ام كيف انظر الى غيرك من الأمراء وغيرك فيك

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

نعم وان اشتركوا معك في اللقب لم يشتركوا معك في كمال الفضل والأدب وفي كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وفى ذلك من استمالة القلب مايدهش اللب وقد جمعت هذه العبارة من الأمثال ماهو كالسحر الحلال فاولها (رب طمع يجر الى طبع) قال الشاعر

لاخير في طمع يدنى الى طبع وعفة من قوام العيش تكفيني

وثانيها كل الصيد في جوف الفرا وهو يضرب لمن يفضل نفسه على أقرانه وثالثها (البدل منك أعور) يضرب لكل مالا يرتضى به من الذاهب وأصله ان يزيد بن المهلب لما صرف عن خراسان بقتيبة بن مسلم الباهلى وكان شحيحا أعور قال الناس هذا بدل أعور

ورابعها (رضى من الوفاء باللفاء) يضرب لمن يرضى بالقليل من الكثير وخامسها (وفى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار) يضرب في تفضيل بعض المشتركين في صفة على بعض . والبيت الذى ذكره لعدى بن الرقاع

(١) مضارع تولاه صار وليه (٢) كلمة تحضيض (٣) ميل النفس — بعد ان بين له أنه لايرضى بما سواه . وانه يفضل جواره على ماعداه وهو مع ذلك يعرض عنه ولا يميل اليه . رجع ينكر عليه ذلك بطريق الاستفهام كما هو الأدب من حيث يقول كيف تتبرأ مني وانا او اليك . وتميل عنى وتهجرنى وأنا لاأميل

(يا من يعز علينا أن نفارقهم ☆ وجداننا كل شيء بعدكم عدم)

أعيذك ونفسي من أن أشيم(١) خلبا(٢) . واستمطر جهاما(٣) وا كدم (٤) في غير مكدم . وأشكو شكوى الجريح الى العقبان والرخم . فما أبسست (٥) لك الالتدر . ولا حركت لك الحوار(٦) الالتحن . ولا نبهتك الا لأنام . ولا سريت اليك : الالأحمد السرى (٧) لديك

الا اليك وهلا هويت من يهواك . ورضيت من يرضاك . والبيت للمتنبي من قصيدة يخاطب بها سيف الدولة معاتبا له وبعده

(ما كان أخلقنا منكم بتكرمة   لو ان أمركم من أمرنا امم)
(ان كان سركم ما قال حاسدنا   فما لجرح اذا ارضاكم ألم)

ومنها

(ياأعدل الناس الا في معاملتي   فيك الخصام وأنت الخصم والحكم)

وقال الجوهرى على بن احمد

وأقسم لو رويت سيفك من دمى   لاورق بالود الصحيح وأثمرا
فكم مدبر بالود تلقاه مقبلا   وكم مقبل بالود تلقاه مدبرا

وقال السراج الوراق

ومهفهف عنى يميل ولم يمل   يوما الى فصحت من الم الجوى
لم لاتميل الى ياغصن النقا   فأجاب كيف وأنت من جهة الهوى

(١) شام البرق . نظر الى سحابته اين تمطر (٢) البرق لاغيث معه
(٣) السحاب لاماء فيه (٤) اعض (٥) (الابساس) الرفق (٦) ولد الناقة
(٧) السير ليلا — بعد ان مدحه بما مدحه واستعطفه بما يلين القلوب القاسية . ويفجر ينابيع العطف من صلب القلوب . شرع يطلب منه بنسق عجيب . ونمط

غريب ان يجعل لأعماله نتيجة يجنى ثمرتها وان يكون سيده غارس دوحتهاوان لايجعله كالمستميح الماء من الصخر . والمستجير عند كربته بعمرو والمستمطر الجهام . والناظر الى البرق الخلب . ويذكره بسبب انشاء هذه الرسالة . وانه ماتفنن فى أساليبها . وأجهد نفسه في اختراع معانيها وانتخاب أمثالها الغريبة المثال وأبياتها الأبيات في الانعقاد على الرجال . وغير ذلك من الحكم التى لو سقيت بها أشجار القلوب القاسية لأثمرت العفو . أو رويت بها أرض الهجر لا نبتت الوصل . وما ذاك الا ليرسل عليه سحاب عطفه مدرارا . وان يصل رحم الجوار بعد القطيعة ويقر عينا اضرها سهاد الجفوة . وان يحمد اليه سراه ويحسن عقباه . ولقد رصع عبارته بجواهر الأمثال وصاغها في قالب غريب المثال يشير فيها الى قول أبي الأسود الدؤلى

(لاتهنى بعد اكرامك لى فشديد عادة منتزعه)

(لايكن برقك برقاً خلبا ان خير البرق ماالغيث معه)

وإلى المثل العربي . كدمت في غير مكدم . يضرب لمن يطلب شيئاً من غير أهله وإلى قول المتنبي

(ولا تشك إلى خلق فتشمتهم شكوى الجريح إلى العقبان والرخم)

وإلى الأمثال العربية «الأبساس قبل الايناس» وهو يضرب فى الرفق و «حرك لها حوارها تحن » وهو يضرب في استنهاض الهمة و « نبه لها عمراً ثم نم» يضرب فيمن يعتمد على غيره . قال بشار بن برد في عمر بن العلاء :

(إذا أيقظتك حروب العدا فنبه لها عمراً ثم نم)

(فتى لاينام على غرة ولا يشرب الماء إلا بدم)

و « عند الصباح يحمد القوم السرى و تنجلى عنهم غيابات الكرى وقائله خالد بن الوليد » وهو يضرب عند حمد العاقبة

وانك ان سنيت(١) عقد أمرى تيسر. ومتى أعذرت(٢) فى فك أسرى لم يتعذر . وعلمك محيط بأن المعروف ثمرة النعمة ، والشفاعة زكاة المروءة . وفضل الجاه(٣) يعود به صدقه

(واذا امرؤ أهدى اليك صنيعة ☆ من جاهه فكأنها من ماله)

لعلى ألقى العصا بذراك(٤) ، وتستقر بى النوى(٥) في ظلك ، واستأنف(٦) التأدب بأدبك . والاحتمال على مذهبك . فلا أوجد للحاسد مجال(٧) لحظه(٨) . ولا أدع للقادح(٩) مساغ(١٠) لفظه ☆

---

(١) سهلت (٢) بالغت في طلب العذر (٣) المنزلة — يقول لسيده انى ما كلفتك أيها السيد ارتكاب متون الأهوال ولا معاناة الأوحال ولا عد نجوم السماء ولا رمال الدهناء وانما هو أمر يكبر فى عين سائله ويصغر عند باذله وهو في يدك وقبضتك وأنت عليه قادر وان سهلت عسيره سهل وان التمست لى المعذرة انتفت الصعوبة وأنت تعلم زادك الله علماً أن النعمة شجرة ثمرها المعروف وأن المروءة مال زكاته الشفاعة وشفاعة اللسان أفضل زكاة الانسان وبذل الجاه رفد المستعين وأيد ذلك بالبيت بعده وقوله إن سنيت مأخوذ من قول بشار

فبالله ثق إن عز ما تبتغى وقل إذا الله سنى عقد أمر تيسرا

والبيت الذى ذكره لابى تمام

(٤) كل ما استترت به (٥) ما ينويه المسافر من قرب أو بعد (٦) ابتدأ (٧) (جال) طاف (٨) نظره (٩) الطاعن (١٠) ساغ الشراب سهل مدخله في الحلق — أرجو من سيدى أن يعفو عن ذنبى وتقصيرى ويلبى ندائى هذا كى أسكن فى ظلك ولا اذهب إلى غيرك وتكون نهاية امالى ومنتهى أسفارى واتوب عما كنت مرتكبه ومتمسكا به مما لا يرضيك وأتخلق بأخلاقك وأتمسك

والله ميسر لك من اطلابى (١) بهذه الطلبة (٢). وأشكائى (٣) من هذه الشكوى بصنيعة تصيب منها مكان المصنع . وتستودعها احفظ مستودع . حسبما أنت خليق (٤) له . وانا منك حرى (٥) به . وذلك بيده وهين عليه .

بطريقتك واحذو حذوك واتبع مذهبك وبذلك لايجد عدوى فى مدار لحظة ولا الطاعن في عرضى مايسوغ من لفظه وقوله لعلى القى الخ حل بيت للبارقى وهو
(والقت عصاهاواستقر بها النوى كما قر عيناً بالاياب المسافر)
(١) اسعافي (٢) ماطلبه (٣) ازالة ما اشكوه (٤) جدير (٥) حقيق — يقول لسيده والحمد لله الذى سهل لك مطلبى واسعافى وازالة مااشكوه من آلام السجن بمعروف تبذله لأهله وتحفظه عند امين لوقته على حسبما يقتضيه كرم أخلاقك وجميل صفاتك وأنا أحق الناس به لمودتى لك واخلاصى في ولائك وما ذلك عليك بعزيز
(ان الصنيعة لاتكون صنيعة حتى تصيب بها مكان المصنع)
وقال الحجاج لابن القرية ما أضيع الاشياء قال مطر جود ، فى أرض سبخة
وقال ابن عبد القدوس
متى تسد معروفا إلى غير أهله رزئت ولم تظفر بأجر ولا حمد
وقال الآخر
ومن يصنع المعروف في غير أهله يلاقى الذى لاقى مجير ام عامر
اعد لها لما استجارت ببيته احاليب البان اللقاح الدرائر
واسمنها حتى اذا ماتمكنت فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوى المعروف هذا جزاء من يجود بمعروف على غير شاكر

ولما توالت[١] غرر[٢] هذا النظم واتسقت[٣] درره . فهز عطف غلوائه[٤] ، وجر ذيل خيلائه[٥] . عارضه النظم مباهيا[٦] . بل كايده[٧] مداهيا ، حين أشفق[٨] من أن يعطفك استعطافه . وتميل بنفسك ألطافه[٩] . فاستحسن العائدة[١٠] منه ، واعتد بالفائدة له . وما زال يستكد[١١] الذهن العليل . والخاطر الكليل[١٢] ، حتى زف اليك عروسا مجلوة في أثوابها . منصوصة[١٣] بحليها وملابها[١٤] .

---

(١) تتابعت (٢) جمع غرة وهي أول كل شيء وأكرمه (٣) انتظمت (٤) سرعة شبابه ونشاطه (٥) كبره (٦) مفاخراً (٧) خدعه ومكربه (٨) حذر (٩) بره (١٠) العطف والمنفعة — فيما ذكره ابن زيدون رحمه الله تعالى من سحر البلاغة وحسن الصناعة مع التسجيل بعد المغالطة ما يسمى في البديع بحسن التعليل فانه أخذ في تعليل ذكر النظم بعد النثر فكأنه يقول أن النظم حينما رأى أخاه النثر قد الان قلبك . وأخذ بمجامع لبك ، لما فيه من لطف اشارته . وحسن عبارته . غار منه وأراد أن يكون هو عذيقها المرجب . والراكب في ميدانها كل أشهب ، واستحسن ان ينفرد بهذه المزية . وأن يكون هو المبلغ لناظمه الامنية . وفي ذلك من حسن التلطف مايفوق (تلطف ابى غزوان) أى القط يقف امامك خاضعا وأنت تأكل فتارة يتمرغ على جسدك واخرى يجلس على حجرك وغير ذلك من الاعمال التى يعملها الى ان تطعمه امارحمة به وأما ضجرا منه فكذلك ابن زيدون مع سيده فانه يغالطه من هنا ويخدعه من هاهنا ويكابره من هناك حتى يظفر بمراده على أى حال من الاحوال (١١) يجهد (١٢) غير الحاد (١٣) مرفوعة (١٤) زعفرانها — أخذ يصف مالاقاة من الشدة وكابده من العناء في نظم هذه القصيدة التى سيرسلها الى سيده مزينة بألفاظها البديعة ومعانيها المخترعة . وثنائها الطيب النشر ليلفت نظره نحوها حتى يسمعها بفكر

وها هي قصيدته

الهوى [1] في طلوع تلك النجوم ☆ والمنى في هبوب ذاك النسيم [2]
سرنا عيشنا (الرقيق الحواشي) [3] ☆ لو يدوم السرور للمستديم
وطر [4] ما انقضى الى أن تقضى ☆ زمن ما ذمامه [5] بالذميم [6]
اذ ختام الرضا المسوغ [7] مسك ☆ ومزاج [8] الوصال من تسنيم [9]
(وغريض الدلال) [10] غض [11] جنى الصبـ
وة [12] نشوان [13] من سلاف [14] النعيم

حاضر وعقل متدبر . ويقف على مافيها مما يذهب الجفوة ويجلب المودة وقد جرت عادة الشعراء أن يسموا قصيدتهم عروسا بديعة الحسن وسوقها الى الممدوح زفافا لها، ومهرها الاقبال على شاعرها وقبولها قال الصفى الحلى

(فاستجل بكر قصيد لاصداق لها   سوى القبول وود غير مكفول)

كما جرت عادتهم ايضا أن يختموها بالثناء على محاسنها
قال المتنبي

انا صخرة الوادى اذا مازوحمت   واذا نطقت فأنني الجوزاء
واذا خفيت على الغبي فعاذر   الا تراني مقله عمياء

وقال أبو تمام

من كل بيت يكاد الميت يفهمه   حسنا ويعبده القرطاس والقلم

(١) ميل النفس (٢) الريح الطيبة (٣) الرغد (٤) حاجة (٥) عهد (٦) من الذم ضد المدح (٧) ساغ الشراب سهل مدخلة في الحلق (٨) مايمزج به (٩) ماء في الجنة والكلام على التشبيه (١٠) لطيفه (١١) ناضر (١٢) الميل إلى الهوى (١٢) سكران (١٤) عصير

طالما نافر(١) الهوى منه غر(٢) ☆ لم يطل عهد جيده بالتميم(٣)
زار مستخفيا وهيهات أن يخـــفى سنا(٤) البدر فى الظلام البهيم(٥)
فوشى(٦) الحلى اذ مشى وهفا(٧) الطيـــب الى حس كاشح(٨) بالنسيم
ايها المؤذنى(٩) بظلم الليـــال ☆ ليس يومى بواجد(١٠) من ظلوم
قمر الأفق ان تأملت والشمـــس هما يكسفان دون النجوم
وهو الدهر ليس ينفك ينحو(١١) ☆ بالمصاب العظيم نحو العظيم
بوأ(١٢) الله جهوراً شرف السو
دد فى السرو(١٣) والالباب(١٤) الصميم(١٥)
واحد سلم الجميع له الأمـ ☆ ـر فكان الخصوص وفق العموم
قلد الغمر(١٦) ذا التجارب فيه ☆ واكتفى جاهل بعلم العليم
خطر(١٧) يقتضى الكمال بنوعى ☆ خلق بارع(١٨) وخلق وسيم(١٩)
أسوة(٢٠) الروض من بطيبك يحظى ☆ نظرى ما اعتمدته(٢١) وشميمى
أيهذا الوزير هأنا أشكو ☆ (والعصا بدء قرعها للحليم(٢٢))

(١) جافى (٢) صغير ليس بذى تجربة (٣) عوذة تعلق فى رقبة الصبى حفظا له
(٤) ضوء (٥) الاسود الحالك (٦) نم (٧) ذهب فى الهواء (٨) مضمر العداوة
(٩) معلمى (١٠) حنق (١١) يقصد (١٢) هيأ ومكن له فيه (١٣) سخاء في
مروءة (١٤) الحسب (١٥) الخاص (١٦) عديم التجربة (١٧) شرف (١٨) فائق
(١٩) نضير (٢٠) مثال (٢١) إطمأننت اليه لاتكالى عليه (٢٢) يشير إلى

ما عنانا أن يأنف السابق(١) المر ☆ بط فى العتق(٢) منه والتطهيم(٣)
وثواء(٤) الحسام فى الجفن يثنى(٥) ☆ منه بعد المضاء(٦) والتصميم(٧)
افصبر مئين خمس من الأيـــام ناهيك من عذاب اليم
ومعنى(٨) من الضنى(٩) بهنات(١٠)
نكأت(١١) بالكلوم قرح الكلوم(١٢)
سقم (لا أعاد منه)(١٣) وفى العا ☆ ئد أنس يفى(١٤) ببرء(١٥) السقيم
نار بغى(١٦) سعى الى جنة الإ ☆ ن لظاها(١٧) فأصبحت كالصريم(١٨)
بابى أنت إن تشا تك برداً ☆ وسلاما كنار ابراهيم
للشفيع الثناء والحمد فى صو(١٩) ☆ ب الحيا(٢٠) للرياح لا للغيوم
وزعيم بأن يذل(٢١) لى الصعـ ☆ ـب مثابى(٢٢) الى الهمام الزعيم(٢٣)
وثناء أرسلته سلوة(٢٤) الظا ☆ عن(٢٥) عن شوقه ولهو المقيم
ووداد يغـير الدهـر ما شا ☆ ء ويبقى بقاء عهـد الـكريم

المثل العربى (وهو إن العصا قرعت لذى الحلم) وهو يضرب لمن إذا نبه انتبه
(١) الفرس (٢) الكرم (٣) اجتماع لحم الوجه مع تدويره (٤) مكث
(٥) يذهب (٦) الحده (٧) الصرامة (٨) تعب (٩) المرض الثقيل
(١٠) شدائد (١١) (نكأ القرحة)قشرها قبل أن تبرأ فندبت (١٢) الجراح
(١٣) لا أزار فيه (١٤) يكفل (١٥) شفاء (١٦) مجاوزة الحـد
(١٧) نارها (١٨) محترقة مسودة (١٩) نزول (٢٠) المطر (٢١) يسهل
(٢٢) رجوعى (٢٣) الرئيس (٢٤) عزاء وتسلية (٢٥) المسافر أى ان هذا الثناء
ينسى الظاعن شوقه لوطنه ويلهى المقيم عن كل شىء سواه

فهو ريحانة الجليس ولا فخـ ☆ ـر وفيه مزاج كأس النديم(١)
لم يزل مغضيا(٢)على هفوة الجا ☆ نى مصيخا(٣) الى اعتذار المليم(٤)
ومتى يبدأ الصنيعة(٥) يوله ☆ لك(٦) تمام الخصال بالتتميم(٧)

وقال الاحنف بن قيس

ليس دهرى بواجد من ظلوم ☆ وبلائى من حادث وقديم
ليس يستنكر النحول لمثلى ☆ جسدى مبتلى بقلب مشوم

ها كها أعزك الله يبسطها(٨) الأمل(٩).ويقبضها(١٠) الخجل. لها ذنب التقصير وحرمة(١١) . الاخلاص(١٢). فهب ذنبا لحرمة . واشفع نعمة بنعمة.ليتأتى(١٣) لك الاحسان من جهاته.وتسلك الى الفضل(١٤) من طرقاته ان شاء الله تعالى

---

(١) الجليس على الشراب (٢) متجاوزاً بالصفح (٣) مصغيا (٤) الآتى بما يلام عليه يدعو لسيده بأن الله يبقيه صافحاً عن المذنبين سامعاً اعتذار المعتذرين قابلا توبة التائبين (٥) المعروف (٦) يغريك من الأغراء (٧) أى تتميم المعروف لكمال خلاله الحميدة (٨) يطوها (٩) الرجاء (١٠) يضمها (١١) مالا يحل انتهاكه (١٢) عدم الشك في الاعتقاد (١٣) (التأتى) التهيؤ (١٤) إسم جامع لكل خير — يقول ها هي ذى القصيدة يمدها ويطوها الرجاء والأمل . ويضمها ويجمعها الخجل فهى تقدم رجالا لحسن ظنها فيك . وتؤخر أخرى حياء منك لها ذنب التقصير عن الأحاطة بمدحك

يفنى الكلام ولا يحيط بوصفكم أيحيط ما يفنى بما لا ينفد

ولها حرمة الاخلاص لك.وعهدى فيك أن تمحو السيئة بالحسنة وتشفع النعمة بالنعمة ليكون الجزاء مضاعفاً والثواب معظماً وتكون قد أصبت المعروف من جهاته المعروفة ووصلت الى نهاية الخير من طرقه المألوفة يشير بقوله لها ذنب التقصير الى قوله عمارة اليمنى

خذالعفوواصفح عن قصور قصائدى　　فانك عن ذنب المقرين صافح
وسامح وخذ بعد الذى تستحقه　　فمن عادة أن الكريم مسامح

وقول الصفى الحلى يصف قصيدته

رقت لتعرب عن رقى لمجدكم　　حباً وطالت لتمحو ذنب تقصيرى

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤	٥	صارت	سارت
١٧	١٥	عليه	عليها
١٩	٧	أشهر	اشتهر
٢٠	١٣	اذا	اذ
٣٤	١٠	بمسكه	تمسكه
٤٢	١	أحسن	أحس
٤٩	١٦	رقد	وقد
٥٣	٩	الأمر	الأمير
٥٣	٢٢	فيأخذو في نها	فيأخذونها
٥٩	١٧	لضربه	لضربة
٦٣	٩	المبارات	المباراة
٦٥	٣	أن يتعيرو	أن يستعيروا
٦٩	٧	فتحول	متحول
٦٩	٩	تتحول	فتحول
٧٢	١٦	فكرة	فكره
٨٠	١٥	مقله	مقلة